

الفصل الأول

الحكمة من خلق الكون

اقتضت حكمة الله تعالى أن خلق هذا الكون؛ أرضه وسماواته وما فيهما وما بينهما؛ وفيه يتجلى بديع صنعه إتقاناً وتكاملاً وإحكاماً، وقوة وزينة وتكامل نظام، وترفاً يُظهر عزة الخالق المبدع ويدل على عظمته وجليل قدرته، فهو مالك الملك الذي

أحسن كل شيء خلقه ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المالك: ١) فالكون ملك الله خلقه

ليكون آية دالة على قدرة المالك فكان متقناً أيما

إتقان ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ

الرَّحْمَنِ مِنْ نَفَوْتٍ فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (المالك: ٢)

(المالك: ٣) وكان لهذا الكون من البهاء ما جعله متعة

وزينة للناظرين ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ... ﴾ ﴿٥﴾ ﴿الملك: ٥﴾ أما الأرض فقد جعل فيها أماكن من جنات وأنهار وجبال وشلالات وشواطئ تسر العين وتخلب اللب وتأخذ بمجامع القلوب، وتهنأ بها النفوس وقد انشدت إليها ياكبار وإعجاب؛ وهي تقول سبحان الخالق العظيم ﴿ .. صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿النمل: ٨٨﴾ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ﴿٧﴾ ﴿الكهف: ٧﴾ وخلق من الحيوان أصنافاً تدعو إلى النظر والتأمل والإعجاب بما فيها من تناسق الألوان وبريقها، ودقة الصنعة وترفها، وآية الجمال وإعجازها، فلا يسع الإنسان عندما يراها إلا الاعتراف بقدرة من خلقها وأبدعها على هذا المثال العجيب ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا

دَفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ

حَيْثُ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴿النحل: ٥ - ٦﴾ وَالْخَيْلَ

وَالْأَغْالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿٨﴾ ﴿النحل: ٨﴾ ثم خلق في هذا الكون البديع

الإنسان كأحسن ما يكون خلقاً وتكويناً وشكلاً
وجملاً وسيداً عاقلاً مزوداً بالفكر والعقل والقوة

والذكاء خلافاً لبقية مخلوقاته في الأرض ﴿خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴿التغابن: ٣﴾ وقد كان هذا الإنسان تالياً

لكثير مما خلق الله، حيث هيا له الأرض المناسبة

لعيشه؛ من حيث الهواء والحرارة والبرودة والنبات

والحيوان والفواكه والثمار والخضار، ولو قدر

لمخلوق أن يرصد ما حصل من تحولات على الأرض

قبل خلق الإنسان لاستنتج أن هذه الأشياء تُعدُّ

لاستقبال مخلوق مهم أهم من كل من سبقوه؛ فيه
 ميزات كثيرة إذا ما قورن بغيره من المخلوقات،
 وتتجلى فيه صنعة ربه القدير بما أودعه فيه من
 صفات أهله للسيادة فوق الأرض؛ مزوداً بكل
 إمكانات السمو وتسخير موجودات الأرض ظاهرها
 وباطنها لخدمته، والارتقاء بحياته إلى حد السيطرة
 على معظم ما فيها وقهرها خلا بعض الأمور التي
 جعلها الله سره الخاص، فلا يستطيع الإنسان
 حيالها أن يقوم بأي شيء بل ويظهر عجزه عن
 الإحاطة بها مهما بلغ شأنه من القوة والتقدم
 والسيطرة، فقد حار فكره في سعة الكون
 وظواهره ونجومه وكواكبه ومجراته حتى عجز
 عن إدراك منتهاه ﴿ثُمَّ أَتِجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
 خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٤) وفي الأرض حار في
 كثير من ظواهرها وأبدى عجزه عن السيطرة عليها

وهو يرى آثار الرياح العاتية وشدتها، والعواصف
 وقهرها له وتدميرها لكثير مما بينه ﴿هُوَ الَّذِي
 يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ
 يَدَيِ طَيْفَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رَبْحٌ عاصِفٌ وجاءَهُمُ الْمَوْجُ
 مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الَّذِينَ لَيْنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

(يونس: ٢٢) بل كان العجز أشد في الوقوف أمام
 الزلازل والبراكين، وكل الذي استطاعه حيالها أنه
 رصد تحركاتها ليحذرهما أو ليسلم من أذاها، وأما
 جسم الإنسان وما يعتريه من أمراض فقد وقف
 عاجزاً أمام كثير منها، وهو في صراع دائم معها،
 فما يكاد يكتشف علاج مرض عات وينتشي
 بالسيطرة عليه إلا ويدهمه مرض أشد وأنكى،
 ولكنه مع ذلك يبذل الجهد ولا يستسلم للهزيمة،
 وهذا الطبع في الإنسان جبلة طبعه الله عليه ليكون

مؤهلاً لاستمرار الحياة، وإلا لحاق به ما حاق بغيره من المخلوقات التي انقرضت، فحكمة الله اقتضت تفوق الإنسان في صراعاته التي يخوضها مهما كانت أليمة الوطأة عليه، ولكنه في النهاية هو المنتصر لأن الله خلقه ليكون آخر من يشهد نهاية الدنيا، فالإنسان طبقاً لهذا هو خيرُ مستخلفٍ في الأرض، لذلك آتاه من الصفات ما لم يؤت أحداً غيره من المخلوقات، وكان لبدء ظهوره في الدنيا ميزة وحفاوة به لم يحظ بها أيُّ مخلوق آخر سواه، فالمخلوقات الأخرى خلقت صمتاً بعيداً عن الأضواء والتشهير الإعلامي - إن جاز لنا هذا التعبير - أما الإنسان فقد لازمه تنبيه الآخرين إلى وجوده بطرائق شتى من الدعاية والحملات الإعلامية والتبشير به من قبل أن تنفخ فيه الروح، وهو صلصال كالفخار، وكان محل استغراب من الآخرين، مَنْ هذا؟ ومن سيكون هذا المخلوق الذي شكله الله

بيديه؟ فقد باهى الله بهذا المخلوق بقية خلقه من الملائكة والجن ﴿ قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۖ أَتَسْتَكْبَرُ ۚ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥]

وجعله على هيأته التي أراد أن يخلقه عليها يوم أن شكله صلصالاً كالفخار، وقد وضع وهو على هذه الحالة على باب الجنة أربعين عاماً لتشهده مخلوقات الله من الملائكة والجن وليتساءلوا عن كنه هذا المخلوق وما سيكون عليه ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]

وفي عالم الإعلام اليوم يروج للسلعة قبل ظهورها، فكم رأينا من صفحات في الصحف طليت بلون معين دون أية إشارة للسلعة المروج لها، وبعد عدة أعداد من هذا الشكل الملفت للنظر يُظهر أصحاب المنتج جزءاً من منتجهم بشكل غير مكتمل تشويقاً للمتابعين لكي يتساءلوا عن كنهه فيحثهم فضولهم

على المتابعة والترقب لاستجلاء الأمر، وهكذا إلى أن تكتمل صورة المنتج وتظهر معه ميزاته، فيكون بهذا أرسخ في الذهن اسماً وشكلاً وما يحمله من مميزات.

لقد شهد الإنسان الأول آدم الاهتمام اللائق بمخلوق عاقل ظهرت فيه جلياً قدرة رب العالمين وحُسْنُ صنْعته الباهرة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَلْسِنَةٍ وَأَلْبَاصِرٍ ۖ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

[السجدة: ٧ - ٩] لقد كانت حكمة الله في هذا الإنسان الارتقاء به حالة بعد حالة من حالة الطين إلى التماسل والتكاثر بواسطة الماء المهين ثم حالة النفخ فيه من روح الله وتزويده بحواس مهمة جداً تساعد في العيش باقتدار وعلو منزلة على كافة خلقه فوق

هذه الأرض، وربما كان لهذا التكوين ما نراه من فروق كبيرة بين الناس، فمنهم من لم يرتق عن الطين قيد أنملة، ومنهم من حام في مستوى الماء المهيّن، ومنهم من حلّق عالياً بفكره وروحه واعتقاده فكان صنوّ الملائكة الأطهار، فعرف من نظرتة لنفسه وما حمل من دلالات على قدرة الخالق -

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) [الذاريات: ٢١] أن الله تبارك وتعالى قد أهله للحياة التي أعده لها تأهيلاً كاملاً ليس فقط في طريقة مأكله ومشربه وملبسه وتكوينه منذ النطفة وحتى الولادة، وإنما الأهم من ذلك للعقل الذي زوده الله به، وللفكر الذي مكنه من وضوح الرؤية لما سينتهجه في هذه الحياة؛ لأنه أعطي حرية الاختيار لمنهج حياته والتمييز بين الخير والشر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢) [الإنسان ٣] ولهذا حرص التوجيه

الرباني للإنسان على ضرورة الحفاظ على عقله،
 وعدم تدميره بما يُذهبه من المسكرات والمخدرات،
 فإذا ما ذهب العقل منه عاد أخط من الحيوان منزلة
 وعاث في الأرض الفساد، فالأهمية التي أعطاها الله
 للإنسان وفضله بها على سائر المخلوقات كان لهذا
 العقل الذي وهبه الله له، فبه سيميز ويدرك ما لا
 يدركه غيره من المخلوقات ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
 وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
 عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] لذلك
 ولهذه الأهمية كان الاحتراف به أمام الملائكة كبيراً
 وعظيماً ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
 الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
 الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] فكان إخبار الملائكة

بخلق الإنسان من باب شهود هذا القادم الجديد
 وهذه الصنعة الربانية البديعة، لذلك كان قتل هذا
 الإنسان وهدم هذا الكيان الرباني جريمة كبرى لا
 يدرك خطورتها كثير من الناس (لهدم الكعبة
 أهون عند الله من قتل المسلم) قيل بهذا اللفظ
 حديث ضعيف - وزيادة في تكريم الله لهذا
 الإنسان أمر الملائكة بالسجود له، فلبوا طائعين إلا
 إبليس فإنه أبى واستكبر استهانة بهذا المخلوق الذي
 كرمه الله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
 إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)
 وكانت حجة إبليس في عدم السجود واهية؛
 لأنها نابعة من الحسد لهذا الإنسان المكرم من الله
 تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي
 مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢) وهكذا زكى
 نفسه وأعطاها الخيرية وهذا حقد وضيق أفق، وفي

تعليل آخر ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ﴾ (٣٢)

قَالَ لَمْ اَكُنْ لِاَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَٰصِلٍ مِنْ حَمَلٍ

مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ (الحجر: ٣٢ - ٣٣) وفي هذا الادعاء المغلف

بالكبر يظهر عنده الحسد جلياً لما شاهد من

الاحتفاء بآدم وتكريمه فاجتمع عنده الشران،

ويظهر هذا أكثر في سورة الأعراف ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ اَلَّا

تَسْجُدَ اِذْ اَمَرْتُكَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُوْنُ لَكَ اَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا فَاَخْرِجْ اِنَّكَ مِنْ

الصَّٰغِرِيْنَ ﴿١٣﴾ (الأعراف: ١٢ - ١٣) ومنذ هذه الحادثة

بدأت العداوة بين الإنسان وإبليس، فلقد طرد الله

إبليس من رحمته وسخط عليه وتوعده بالعذاب

الأليم، لكن إبليس الحاقد لم يتراجع عن موقفه

بالاعتذار من الله والتوبة مما فعل من العصيان لأمر

الله بل أصر على المعصية طالباً من ربه أن يخلّي بينه

وبين الإنسان في الحياة الدنيا لكي يغويه ويورده
 موارد المهالك كفراً بالله وجحوداً وارتكاباً
 للمعاصي والموبقات، وقد منح الله - كما بينت
 الآيات - إبليس ما طلب اختباراً وامتحاناً لهذا
 الإنسان للصمود أمام إبليس؛ وإضعافاً لشأنه
 واستصغاراً له ولما معه من فتنة وشهوات تغري
 الضعفاء والمجردين من أسلحة المقاومة والحماية التي
 أمرهم الله تعالى أن يستخدموها ضد إبليس ﴿ قَالَ
 أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا
 أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ
 أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
 شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴿الأعراف: (١٤ - ١٧) وفي سورة الحجر
 يعترف بأن تأثيره في الإغواء يكون في ضعاف
 الإيمان ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣) قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

فكان جواب ربه بأن الطريق إلي واضحة لمن سلكها من المؤمنين ﴿٣٧﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣٩﴾ ﴿الحجر: ٤١ - ٤٢﴾ فالله تعالى لم يترك الإنسان لإبليس يلعب بمصيره كما يشاء بل سلحه بالسلاح الذي يقهر به إبليس ويكون بمنجاة من إغوائه، فنبه الإنسان في آيات كثيرة من القرآن على خطر هذا العدو وطلب الحذر منه وإذا تكرر التحذير والتنبيه في القرآن لهذا الأمر فمعناه تنبيه الإنسان وتوجيه جل اهتمامه إلى هذا الخطر لاتقائه والحذر منه ﴿٤٠﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا

يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴿نفاطر: ٦﴾ وفي

سورة طه ﴿١﴾ فَقُلْنَا يَنْقَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا

يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾ ﴿طه: ١١٧﴾ وبين الله

للمؤمنين حبائل الشيطان وإرادته الفتنة لهم في تزيينه

ما حرم الله ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ

وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ

﴿١١﴾ ﴿المائدة: ٩٠ - ٩١﴾ المائدة ثم انظر إلى هذا

التحذير من خطر الشيطان وما يكنه من حقد دفين

على الإنسان ﴿١﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا اخُذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ

نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَتْنَتْهُمْ وَلَا مَرَّهَتْهُمْ

فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّهَتْهُمْ فَلْيَغْرِتْ خَلْقُ

اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ [النساء: ١١٨ - ١٢٠]

الشیطان المرید هو إبليس، والنصیب المفروض، أي: حصته من المضللین الذین ينساقون وراء شهواتهم فيقعون في حبائله، لِيُبْتَكُنَ آذان الأنعام، أي: يقطعونها ويتخذون من ذلك وسماً مميزاً بأن هذه بحيرة وهذه سائبة محللین ومحرمین ذبحها وفق أهوائهم.

وهكذا بدأ الصراع والتحدي بين الخير والشر، فالإنسان العاقل الذي ميزه الله بالعقل وزوده بتعاليمه عن طريق الأنبياء قادر على الوقوف في وجه هذا الشيطان والانتصار عليه، والفوز برضا الله، لأن حليف الشيطان يقف في صف عدو الله وهو بهذا يكون عدواً لله، وبرغم هذه التحذيرات من

مكائد الشيطان؛ فإن كثيراً من الناس لا يأخذون هذه التحذيرات مأخذ الجد ويظنون أن الشيطان عدو وهمي، ولو رجعوا قليلاً إلى عقولهم وأعادوا شريط ما مضى من حياتهم لرأوا وسوسة الشيطان لنفوسهم غير خفية، فكل خلل في حياتهم وكل خروج عن جادة الصواب هو إغواء من الشيطان، ففي الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم عن جابر قال، قال رسول الله ﷺ «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم - أي أقربهم - منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، أو قال: فليتزمه - أي يضمه تقديراً لجهده في الفتنة» وأخرجه أحمد أيضاً.

السرف في خلق الإنسان

إن في خلق الله للإنسان لسر عجيب من حيث تكوين هذا الإنسان، ففيه جلاء صنعة الله بما حوى من قلب حافظ وعقل مدرك واع، وأن الله جلّت قدرته قد أجرى له استقبلاً حافلاً حين بث فيه الروح، وأعطاه حرية الاختيار، وشكل الدنيا على ما هي عليه لأجله، يسخرها بما استطاع من غلبة لها واستغلال لخيراتها التي وضعت من أجل نفعه ورفاهيته، بعد هذا أليس في الأمر سر؟ لو فكرنا قليلاً لعرفنا ذلك السر، وإني أرى أن هذا السر يكمن في محبة الله تعالى لهذا المخلوق، فالله تعالى قد أحبه فميزه عن غيره لأجل هذه المحبة ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ... ﴿٣١﴾﴾ قال عمران: (٣١)

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ): ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ

آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما
 افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
 فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
 ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني
 لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ﴿ وأخرج الترمذي عن
 أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ﴿ إذا أحب الله عبداً نادى
 جبريل إني قد أحببت فلاناً فأحبه، قال فينادي في السماء ثم
 تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله ﴾ ﴿ إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
 وُدًّا ﴾ ﴿ ٩٦ ﴾ لمريم: ٩٦، وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
 وَيُحِبُّونَهُمْ... ﴾ ﴿ ٥٤ ﴾ [المائدة: ٥٤] - ومن دلائل هذا
 الحب أن منحه العديد من لذات الدنيا التي تتعش
 الروح والجسم ويأتي على رأسها اللذة في العبادة

التي تتفوق على كل لذة سواها، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» ويقول أحد العابدين "من ذاق عرف" وقال أبو حنيفة: "لو يعلم الملوك ما نحن عليه من لذة العلم لجالدونا عليه بالسيف"، ولذة العلم الشرعي هو صنو لذة العبادة، وثم تأتي لذة الطعام والشراب والمتعة الجنسية، ويعقب هذه اللذات الدنيوية نعيم الآخرة فهي لذة ما بعدها لذة إكراماً لهذا الإنسان وتعويضاً له عما نقصه في الدنيا، حيث أعد الله له جنات ملئت بأنصاف الملاذ بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بما حوته هذه الجنات وما خبأته للمؤمنين من اللذات والطيبات، وهذه المنحة وهذا التنعيم من أجل محبة الله لهذا

الإنسان الملتزم بتعاليمه، لذلك كان لهذا الإنسان
صونه وكرامته، فحرم الله تعالى الاعتداء عليه

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ (٣٣)

(الإسراء: ٣٣) وشدد النكير على القاتل وتوعده بأشد

العذاب ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ

جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، وقد ورد " أن قتل

النفس بغير حق أعظم عند الله من زوال الدنيا، وفي

لفظ ابن ماجه عن البراء "لزوال الدنيا أهون عند الله من

قتل مؤمن بغير حق" ربما يقول قائل أنت تتكلم عن

الإنسان بشكل عام وهنا خصصته بالمؤمن أو

المسلم، أقول: إن من خرج من دائرة التوحيد أسقط

بخروجه حرمة نفسه وخسر الميزات والأعطيات التي

خص الله بها الإنسان، وأضاع قيمتها الغالية

وأسخط عليه ربه، ويروى "أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

ضرب امرأة بالدرة كانت تنوح على الميت فسقط
خمارها، فقالوا لقد كشفتها يا أمير المؤمنين،
فقال: لا حرمة لها"، وذلك لفعالها المنكر ومخالفتها
النهي عن النياحة، فعند أحمد والترمذي "لعن رسول
الله ﷺ" النائحة والمستمعة" ويبقى الأمر قائماً على ما
ورد لأن الأصل في الإنسان الإيمان ولا اعتبار للشاذ
من الإنسان الذي نزل بكفره إلى منزلة أخط من
الحيوان، وقد بين الله الطريق الموصل إلى محبته
ونيل منحته ورضاه بوضوح لا لبس فيه، فقال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ
مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمَتِينِ ﴿٥٨﴾ (الذاريات: ٥٦ - ٥٨)، فالإنسان مخلوق
للعبادة هذا قبل كل شيء، وما يتلوه من عمل
للكسب والرزق والمعيشة هي أسباب للحياة من أجل
العبادة واستمرارها حسب ما كتبه الله من عمر

لهذا الإنسان، وأما أن يفكر جاهل بأن الله قد ألزم الإنسان بعبادته من أجل نفع لله أو لمزيد ملك له فهذا خطأ كبير، فالله هو الخالق وهو المعطي وهو المتفضل على الإنسان وطاعته لا تزيد في ملك الله شيئاً، كما أن معصيته لا تنقص من ملكه شيئاً، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو

أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» فوجود الإنسان على هذه الأرض إنما هو امتحان واختبار له لشكر المنعم على ما أنعم عليه وحمده وتسبيحه، فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش» والشكر يكون من خلال الطاعة والالتزام بمنهج الله في الأرض لأن الطاعة والعبادة الخالصة لله تشكل لدى الإنسان المطيع سلوكاً ناضجاً ومثالية رفيعة؛ فهو ملاك يسير فوق

الأرض ديناً وتقوى، وحباً ومعاملة وصلاًحاً، وحُسنَ
 معاشرة وطيب لقاء، ومودة وأنساً ومسالمة وحسن
 خلق، يألف ويؤلف فلا يعتدي على أحد ولا يظلمه
 ولا يأكل ماله ولا يهتك عرضه، صادق طاهر
 القلب وصافي السريرة غير لعان ولا صخاب ولا
 فحاش، هذه سمات مَنْ أَحَبَّ اللهَ وَأَحَبَّهُ اللهُ ﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ
 هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
 بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١١٥٣]، فلماذا الحب؟ لأن الله تعالى

أودع فيه الروح وهي من روح الله ﴿١٥٤﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ
 شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ
 مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ
 وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

﴿٩﴾ [السجدة: ٧ - ٩]، ولما سئل النبي ﷺ عن الروح

كان الجواب من الله تعالى ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
 ﴿الإسراء: ٨٥﴾ فقد استأثر الله بسرّها ولم يطلع عليها أحد من خلقه، وهنا يكمن سر محبة الله للإنسان، فهل يعني هذا أن الروح في الإنسان تختلف عن غيره من ذوات الأرواح؟ ربما لأن روح الإنسان معصومة إلا بحقّها، وروح الحيوان مباحة أحل الله لنا إزهاقها لأكل لحومها، كما أنها في الآخرة لا تخلد مع الإنسان بل تتقلب تراباً وتزول، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ﴿يَحْشَرُ الْخَلْقُ كُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْبَهَائِمَ وَالْدُّوَابَّ وَالطَّيْرَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَيُلْغَمُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ يُوْخَذَ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقِرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تَرَاباً فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ الْكَافِرُ ﴿...يَلْتَنَنِي كُنتُ تَرَاباً﴾﴾
 ﴿النبا: ٤٠﴾ متمنياً مصير الحيوان كيلا يخلد في النار، فالقرآن لم يذكر خاصية الروح إلا للإنسان،

وخص بكلمة الروح جبريل لعلو مكانته ورفعته
 وخطير مهامه ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
 مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]

ومن دلائل محبة الله للمؤمن:

الرضا عن عباده: الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 ينالهم رضا الله، وإذا رضي الله عن عبد أحله في
 النعيم المقيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٧ - ٨] وأخرج مسلم
 عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿
 إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،
 فَيَقُولُونَ لِيكَ وَسَعْدِيكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ:
 وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ،

فيقول أن أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً﴾ فهل هناك محبة بعد هذا أجل وأعلى؟

• قبول توبته: إذا أخطأ، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩] وذلك لرحمته بالإنسان ومحبته له ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠] قال تعالى في آية أعم وأشمل في العفو والغفران ﴿قُلْ يَكِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

لقد فتح الله تعالى لعباده باب التوبة على مصراعيه وقبولها وغفران الذنب مهما عظم، لكن يستثنى

من هذا أكل أموال الناس لأنها حقوق العباد، ولا تُغفر إلا بالمسامحة من رب المال، فقد أخرج الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «القتل في سبيل الله يكفر كل خطيئة، فقال جبريل: إلا الدين، فقال النبي ﷺ: «إلا الدين» وذلك لشدة حرمة أموال المسلمين ودمائهم كيلا تنتهك أو يستهان بحرمتها، ثم انظر إلى طمأنة رب العالمين للتائبين وسرعة الاستجابة لتوبة التائب منهم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠) ﴿

النساء: ١١٠﴾، وضرب مثل لقبول التوبة مهما عظم الذنب في خبر قاتل المائة، فقد أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري ؓ أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال له: إنه قتل تسعاً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به

مائة ثم سأل عن أهل الأرض فذُل على رجل عالم فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً على الله ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فاتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما أدنى فهو له ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة وأخرج ابن ماجه بسنده جيد أن النبي ﷺ قال : «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم» والله تعالى يفرح بتوبة العبد لأن فيها إنقاذاً له من النار:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۖ ﴾ (النساء: ١٤٧)

وأخرج مسلم "لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح"

• الاستجابة لدعائهم: إذا دعوه وتضرعوا إليه فيكشف عنهم ما بهم من شدة، لقد رغب الله تعالى عباده بالدعاء والالتجاء إليه في السراء والضراء فلا ملجأ لهم إلا إليه، ولا رب لهم سواه، ولا يحسبن أحد أن الله يمل من كثرة دعاء عبده له وطلب قضاء الحوائج منه والاستعانة به، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي (ﷺ) قال: «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تموتوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل»

فالدعاء الخالص لله تعالى دليل إيمان العبد وقوة
تمسكه به واعتماده عليه وهذا ما يريده منا ربنا
سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْْبُؤُنَا بِكُرِّ رَبِّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ...

﴿٧٧﴾ ﴿الفرقان: ٧٧﴾ أي لولا إيمانكم، والدعاء هو
العبادة، كما في حديث أخرجه الترمذي عن
النعمان بن بشير عن النبي ﷺ ﴿ في قوله جل اسمه
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]

أن الدعاء هو العبادة، وورد عن أنس في حديث
غريب عن النبي ﷺ ﴿ أن الدعاء مخ العبادة ﴾ أخرجه
الترمذي، والدعاء ينبغي أن يكون خالصاً لله تعالى
بلا واسطة ولا وسيلة - إلا ما ورد من التقرب
بالعمل الصالح كما في قصة الثلاثة الذين حبستهم
صخرة في الغار - والعابد الحق هو الذي يدعو ربه
في الرخاء وفي الشدة بقلب متعلق به، وهناك من لا
يعرف الله إلا عند الشدة فإذا حقق المراد انقلب

وَأَشْرِكْ مَعَهُ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الْخَاسِرُ ﴿۱۶۵﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي
الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿۱۶۶﴾ [العنكبوت: ١٦٥] أَرَأَيْتَ إِلَى هَذَا

الْجُحُودِ فِي شِدَّةِ الْهِيَاجِ وَبُلُوغِ الْخَوْفِ مِنْتَهَاهُ أَخْلَصُوا
لِلَّهِ فَدَعَوْهُ دَعَاءَ مُضْطَرٍ، وَشَكُوا حَالَهُمْ إِلَى عَزِيزٍ
رَحِيمٍ فَكَشَفَ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ وَنَجَّاهُمْ مِنْ
الْعَاصِفَةِ وَهِيَاجِ الْبَحْرِ؛ فَلَمَّا بَلَغُوا بَرَّ الْأَمَانِ أَشْرَكُوا
مَعَهُ غَيْرَهُ وَنَسُوا مَا حَاقَ بِهِمْ قَبْلَ قَلِيلٍ مِنَ الْخَوْفِ
وَالْكَرْبِ، وَقَدْ نَبِهَ اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى أَنَّهُ مَا مِنْ قُوَّةٍ

يُمْكِنُ أَنْ تَنْقُذَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ إِلَّا قُوَّةُ اللَّهِ ﴿۱۶۷﴾ وَإِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى

الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿۱۶۸﴾ [الإسراء: ١٦٧]

فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا أَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرَهُ ضَلَّ
وَحَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ حَالِقٍ غَيْرِ مَا سَوْفَ عَلَيْهِ:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ.. ﴾ ﴿١٤﴾ [الأحقاف: ١٤] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ ﴾... ﴿١١٦﴾ [الأعراف: ١٩٤] فأين

تذهبون أيها الجاهلون؟ أعملوا عقلكم، وفكروا
تفكيراً سويّاً لتصلوا إلى ربكم الذي أحبكم
﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ...

﴿١٩٧﴾ [الأعراف: ١٩٧] لذلك مدح الله من يدعوه على

هدى وبصيرة ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا
﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا ﴾ ﴿١٩﴾ قُلْ

إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ ﴿٢٠﴾ [الجن: ١٨ - ٢٠] وإذا

علمنا أن ندعوه وحده فلا خوف من الكرب إن شاء
الله لأن لنا قوة تحمينا، وسنداً يقف معنا خصوصاً
في حالة تخلي الناس عن نصره الحق، وإذا ما وقف
المسلم مع الحق وحيداً ليس له من مؤازر فإنه سيجد

قوة الله معه، ألم يعاتب الله لوطاً عندما هاجمه
 قومه وكان وحيداً، فقال ﴿...لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ
 عَآوِيَّ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠) ﴿هود: ٨٠﴾ فقد كان يأوي
 إلى ركن شديد وهو الله؛ وهل هنالك أقوى من هذا
 الركن؟ لكنه لهول الموقف وإشفاقه على ضيوفه
 من اعتداء قومه عليهم نسي، لقد طمأن الله المظلوم
 أنه معه، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي
 الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال:
 ﴿اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب﴾
 وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:
 ﴿ثلاثة لا ترد دعوتهم؛ الصائم حتى يفطر والإمام العادل،
 ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب
 السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين﴾ لقد
 طمأننا رسول الله ﷺ بأن دعاءنا ربنا لن يذهب
 أدراج الرياح، فهو في سجل لا يضيع، فقد أخرج

أحمد في مسنده عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث؛ إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة؛ وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكث، قال: الله أكثر» واللَّهُ تعالى يجيب دعوة المضطر الذي ضاقت في وجهه السبل ولم يعد له ملجأ إلا الله؛ خصوصاً إذا كان مهدداً في حياته أو ماله أو عرضه أو دينه أو ملاحقة جبار ظالم له، فقال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ (النمل: ٦٢) قاله قريب سميع مجيب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) وفي الحديث الذي

أخرجه أحمد في مسنده عن أبي موسى أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر فرفعوا أصواتهم بالدعاء فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون قريباً مجيباً يسمع دعاءكم ويستجيب، قال يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله»

• بالاستغفار والتوبة تبدل الحسنات بالسيئات ﴿وَالَّذِينَ

لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا

﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ

يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] وأخرج البخاري عن ابن

مسعود: "أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ

فأخبره فأنزل الله عز وجل ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ فقال الرجل: "يا رسول الله أفني هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم" ويتجلى كرم الله تعالى وجوده على عباده بالحسنات في هذا الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يفعلها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو فعلها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة"

• إهمال عباده وعدم أخذهم بالشدة إذا انحرفوا وأخطأوا، وإعطائهم فرصة وسعة من الوقت للتوبة والأوبة إليه، لقد أخذ الله على نفسه عهداً ألا

يأخذ العاصي عند عصيانه، وأن يمد له في الوقت رجاء التوبة، فكم طلب الكفار من أنبيائهم أن يعجل الله لهم العقوبة فكان الإمهال، ولولا أن بعض هؤلاء الأقوام قد تحدوا أنبيائهم في تعجيل العقوبة لما عجلها الله وذلك لاشتداد إيذائهم لأنبيائهم وللقلة المؤمنة معهم، فما عاد ينفع معهم التأجيل، وتأتي العقوبة الدنيوية بعد الإمهال في حالات ازدياد المنكرات وطغيان الهوى والخروج عن الأعراف والأخلاق خروجاً يدوس القيم ويستأصلها ليسود المنكر فوقها، وهنا تأتي العقوبة للردع والتنبية والتذكير للعودة إلى جادة الحق، وتكون العقوبة على شكل زلزال محدود أو خسف ضمن دائرة الشر، أو مرض أو وباء، أو حروب أهلية، أو تسلطُ عدو خارجي يؤلمهم ببغيه إلى حين ، ولقد ورد من الآيات ما يشير إلى هذا ﴿وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ

لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لِقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ

فَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

ليونس: ١١ ﴿وَسْتَغْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى

لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

المنكوب: ٥٢. فهذه هي مشيئة الله في الدنيا تأجيل

العقوبة إلى أجل مسمى وهو يوم الحساب وعدم

أخذ الإنسان المذنب إلا بعد إمهال، فليس بمجرد

نطقه بالكفر تأتية المنية أو يأتية ما يصعقه، فقد

سبقت كلمة ربك بالإمهال وتأجيل العقوبة إلى يوم

الحساب، أما الذين يتحدثون الأنبياء بأن وعيدهم

كاذب ويصرّون على تعجيل العقوبة ليظهروا أمام

شعوبهم بأنهم على حق وأن الأنبياء على الباطل؛

فقد عجلها الله لهم درءاً للفتنة، ألم يقل أتباع

موسى عليه السلام ﴿... رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴿يونس: ٨٥﴾ بمعنى أن يقول الكفار

لو كانوا على الحق مؤيدين من الله لما سلطنا الله عليهم، لذلك لما طلب قوم نوح من نوح أن ينفذ فيهم وعيده أخذهم الله بالطوفان ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ

جَدَلْنَا فَأَكْثَرَ جِدَلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴿هود: ٣٢ - ٣٣﴾ ولما عقر قوم صالح

الناقة استكباراً وتحدياً وجحوداً، طلبوا من صالح باستهزاء أن ينفذ فيهم وعيده إن كان

بإمكانه أن يفعل ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا إِنَّا

بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ

أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحْ أَئِنَّا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴿الأعراف: ٧٦ - ٧٨﴾ فهذا جزاء من تحدوا

نبيهم وقتلوا الناقة المعجزة التي نهوا عن قتلها
﴿وَيَقَوْمٌ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ

قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: ٦٤] وهؤلاء قوم شعيب فقد أبوا

الإيمان وتغيير سلوكهم وتصحيح مسار تجارتهم
من الغش ونقص المكيال والميزان وتحذوا شعيباً
بأن ينزل بهم العذاب ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ

السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧ - ١٨٩]

• إرسال الرسل إليهم لهدايتهم وتبصيرهم بالحق وإزالة

العمى عن أعينهم وقلوبهم ليفقهوا ﴿...وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥] لقد اقتضت

حكمة الله عز وجل الرأفة بالإنسان بأن يبصره

ويوقظ فيه وازع الخير ويرشده إلى عبادة الله وفق منهج قويم سليم وما ذلك إلا لمحبة هذا الإنسان وإنقاذه من العذاب، فأرسل الرسل وهم أكمل الناس صبراً وهدياً ورأفة ومحبة ببني جنسهم من البشر، فأتوهم وكلموهم باللين والرفق، وبينوا لهم طريق الخير وحذروهم من سلوك طريق الشر، وبينوا نهاية كل طريق، وصبروا على مسيئتهم ولم يبادلوهم الإساءة بمثلها بل غفروا لهم ما فعلوه بهم؛ كل ذلك من أجل إنقاذهم من العذاب في الآخرة، ولولا محبة الله لهم لما أرسل الرسل ولتركهم على عمآيتهم وضلالهم ولكنها رحمة الله بالعباد ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ

... ﴿٤٢﴾ ﴿الأنفال: ٤٢﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

﴿١٠٧﴾ ﴿الأنبياء: ١٠٧﴾ وذلك بإرسال الرسل المؤيدين

بالمعجزات الظاهرة الباهرة ليكون الإنسان على

يقين في الاتباع ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ

الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ﴾ ﴿٩﴾ [الصف: ٩] فدعوته

واضحة بينة ليس فيها تقديسٌ لشخص ولا عملٌ منافٍ لفطرة ، بل هي توحيد الخالق ، وترك الأصنام والأنداد التي لا يقدها إلا جاهل فاقد للفكر والعقل السوي ، ومع ذلك فقد أيدهم الله بالمعجزات الباهرة الخارقة التي تظهر صدق ما يدعون إليه ، لذلك اجتمع مع الرسول نبل المقصد في العبادة للوصول بالإنسان إلى الخيرية ، وسمو الروح والنفس ، والصلاح والبعد عن الشرور والأذى والموبقات ، مؤيداً بالمعجزات الباهرة التي لا يُشك في إعجازها وأنها من عند الله ، وأن هذا التأييد من قوي عزيز ، أما الدجال المشعوذ فقد يسحر الأعين بما يظنه الإنسان معجزة ، ولكن ليس معه نبل المقصد والتوحيد الذي يتماشى مع فطرة الإنسان في وجود

الخالق، بل يدعو إلى الضلال والغواية والموبقات
 واتباع سبل الشر وانحطاط الفكر؛ مبيحاً كل
 قبيح، فهو ذو تاريخ أسود لذلك فإن الدجال الدعي
 سيء المظهر والمخبر، وقد صور لنا النبي ﷺ المسيح
 الدجال بأنه قميء الوجه، وأن عينه كحبة عنب
 طافية، كيلا نغترّ بما يظهر على يديه من خوارق
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾
 ... ﴿١٧﴾ [الروم: ١٧]

﴿يَا ذِينَ اللَّهِ ...﴾ [الرعد: ٢٨] ولكي يكتمل فهم
 الإنسان عن النبي المرسل إليه؛ أرسله الله بلسان
 قومه ليفقهوا ما يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
 بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾ [إبراهيم: ١٧] وقد
 وصف الله جل ثناؤه النبي محمد ﷺ أجمل وصف
 من حيث الشفقة والرحمة وإرادة الخير لهم ﴿لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

رَجِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]

• استمالتهم إليه بالمعجزات الباهرة ترغيباً وترهيباً

؛ وذلك في كلا الحالين لمصلحتهم حتى يتبين لهم

يقيناً أنه الحق؛ فيسلكوا طريقه مطمئنين، ألا

ترى إلى عصا موسى التي ابتلعت حيات السحرة

فَوَضَحَتْ المعجزة من السحر بشكل جلي لا لبس

فيه، فما كان من السحرة لدى مشاهدتها إلا

الخشوع والإيمان برب موسى، لأنهم ميزوا السحر

من المعجزة، وهكذا فإن المعجزة دوماً خارقة لن

يستطيع أحد الإتيان بمثلها مهما ابتكروا من

الحيل والسحر، ألا ترى إلى انشقاق القمر

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ [القمر: ١] فلما

شك كفار قريش بأنه سحر أعينهم سألوا من

كان في سفر بعيداً عن مكة أشاهدوا انشقاق
 القمر؟ فكان الجواب نعم، فهذه هي المعجزة التي
 لا يستطيعها البشر، وكذلك المعجزات التي أيد
 الله بها أنبياءه - سفينة نوح، ناقة صالح، النار
 التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، عصا
 موسى وانفلاق البحر - ومعجزة عيسى الباهرة في
 خلقه ونطقه في المهد وبما أيده رب العالمين من
 المعجزات أثناء دعوته ﷺ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِن
 الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
 وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَاللَّابِرَةَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
 بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم

يَا بَلِيغَاتٍ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتٍ

﴿المائدة: ١١٠﴾ إِذَا فَلَمْ هَذِهِ الْمَعْجَزَاتِ؟ إِنَّهَا

لَأَجَلَ هَذَا الْإِنْسَانَ لِيَتَّبِعَ مِنْ صَدَقِ الدَّعْوَةِ فَيُؤْمِنَ
بَدَعِ النَّبِيِّ الَّذِي يَدْعُوهُ، وَبِهَذَا تَكُونُ نَجَاتُهُ مِنَ
النَّارِ.

• إِنْزَالُ الْعَذَابِ بِفِتْنَةٍ مِنْهُمْ مِنَ الضَّالِّينَ وَتَرْكُ آثَارِهِمْ

لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِلْعِظَةِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ السَّيْرِ فِي
دَرْبِ الضَّلَالِ، لَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا لِقَوْمٍ شَعِيبَ بِمَا

حَلَّ بِجِيرَانِهِمْ مِنْ قَوْمِ لُوطَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَيَنْقُومُ

لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ

قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ

﴿هود: ٨٩﴾ فَآثَارُهُمْ بَاقِيَةٌ عِبْرَةٌ لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ

وْخُصُوصًا بِالنِّسْبَةِ لِجِيرَانِهِمْ، وَكَذَلِكَ خُوطِبَ أَهْلُ

مَكَّةَ بِمِثْلِ هَذَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْرُونَ بِتِجَارَتِهِمْ

بالقرب من مساكن قوم صالح وأطلالهم،
 فيشاهدون آثار ما حاق بهم من التدمير في الذهاب
 وعند الإياب ﴿وَلَا تَكُ لَكُمْ لُتُورٌ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ﴾ (١٣٧)
 [الصافات: ١٣٧] وبهذا يقدم الله لهم الشاهد للعبرة
 واستنقاذاً لهم من النار، كما نجى جثمان فرعون
 من الضياع في البحر عبرة لمن بعده ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
 بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ
 آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (١٣٨) [يونس: ١٣٨] وفي غزوة تبوك مر
 النبي ﷺ بالحجر - مدائن صالح - فلما استقى
 الناس من بئر القرية أمرهم النبي ﷺ أن
 يريقوه، ومن عجن به عجينةً أمرهم ألا يأكلوه وأن
 تلعف به الإبل؛ ليعرفهم أن هذه المنطقة لا تزال دار
 عذاب ودار قوم غضب الله عليهم فأخذهم بالعذاب
 تأديباً لهم وعقاباً على جرائمهم وتكذيب نبيهم،
 وأن كل أرض عذب قومها فيها هي سخط

وغضب، حتى إن أحد الصحابة وجد خاتماً من ذهب من آثار القوم فأعطاه النبي ﷺ فما كان من النبي إلا أن رماه سريعاً كي لا يمس من أمتعة القوم المعدّبين شيئاً، وعلى هذا فإنها تبدو أشد تلوثاً مما تتركه القنبلة الذرية من إشعاع وغبار ضار يبقى أثره آلاف السنين.

• **الإنذار والتخويف بالعذاب الأخروي وضرب الأمثلة**
بما في الدنيا لتقريب ذلك لأذهانهم ، فالقرآن الكريم اتبع مع الناس أسلوب التهيب، فمنهم مَنْ لا يرى الحق إلا بعد التخويف بأشياء حسية قاهرة، وإن من أخوف ما يخاف منه الإنسان هو النار، لأنه معاش لها ويعرف أن فيها النقيضين؛ فيها فائدتها وفيها أذيتها ودماره، فما أصعب آلامها إن مسته، فحرها أليم وسعيرها شديد، وبها خوف الله الإنسان وبين له بأن نار جهنم أضعاف قوة نار الدنيا، فهي لا تطاق ولا يقف لها شيء لأن وقودها

الناس والحجارة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا
 يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦٦]
 وفي الحديث الذي أخرجه الدارمي عن أبي هريرة
 أن النبي ﷺ قال «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً
 من نار جهنم»

• أخذهم بالشدة في بعض الأحيان تنبيهاً لهم؛
 كالحط وشدة السنين، والزلازل والفتن
 والحروب، فالإنسان قد كتب عليه النسيان، وهو
 إن كان في نعيم فإنه يسهو وينسى ما ينتظره في
 الآخرة - إلا ما ندر من الناس - وهذا النعيم قد
 ينسيه حكمة وجوده فوق الأرض ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
 وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فيكون حائلاً
 بينه وبين شكر المنعم وأداء العبادة له وقد يجره
 البطر إلى غمط الحق والبعد عن جادة الصواب،

وهذا ملاحظ في الأمم، وقاعدة ليس لها استثناء إلا نادراً، لذلك كان التذكير بالعودة إلى جادة الحق - إن طالت الفترة - بالأنبياء، ولما انقطعت النبوات بعد النبي الخاتم محمد (ﷺ)؛ كان التذكير بالقرآن كتاب الله المعجز الباقي بيننا المحفوظ بحفظ الله له من التبديل والتحريف، ويخوفهم بين حين وآخر بالشدائد التي تصدم الإنسان بقوة لكي يفيق من غفلته ويعود بذاكركته إلى الله ويسلك جادة الصواب؛ فيقلع عما كان يمارسه من مخالفات، فيجدد إسلامه ويبدأ صفحة نقية من جديد تائباً عابداً، والله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، وقد حصلت للعالم الإسلامي هزات كثيرة على مدى القرون أعطت فرصة ومجالاً للدعاة لكي ينشطوا في الدعوة ويبينوا للناس أخطائهم التي استحقوا عليها هذا العقاب، منها: الغزو الصليبي - الغزو المغولي -

ضياح الأندلس وما أعقبه من الاستعمار الحديث
لمعظم البلدان العربية والإسلامية - ثم تكون
العودة والأوبة، لأن تعالى كتب لهذه الأمة البقاء
برسالتها إلى آخر الدهر. أخرج الترمذي عن ثوبان
قال ك قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى - قرّب
- لي الأرض مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها
ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض
وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا
يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم
وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد،
وإني أعطيك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا
أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو
اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى
يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً» حديث
حسن صحيح وزاد عليه أبو داود «وإنما أخاف على
أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع

عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» بهذا سيكون الصراع مع الأعداء مستديماً بين ظهور وإخفاق؛ ظهور في حالة العودة إلى الله والالتزام بما أمر، وإخفاق في حالة البعد عن تعاليم شرعه الحكيم، لقد صار عنا العدو الإسرائيلي فترة من الزمن وكان شعارنا جاهلي وحالة مجتمعتنا في انحدار ديني لا ترضي فكان قهرنا والغلبة له علينا، ولما عاد الناس إلى دينهم قيراطاً ظهرت نتاج ذلك في عبور خط بارليف على قناة السويس وقد امتلأ الجند إيماناً وهم يكبرون ويهللون وقد كان من قبل هذا من المحظورات في جيوشنا، فكان فتحاً وتأبيداً من الله لهؤلاء الجند

لمسه كل من كان يقاتل في هذه المعركة. وأخرج أبو داود عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلَالًا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ﴾ والعينة: أن يشتري رجلٌ سلعة بثمان إلى أجل ثم يبيعها للبائع نفسه نقداً بأقل مما اشتراها منه تهريباً بزعمه من الربا وقد وقع فيه.

• الترغيب بالعيش الكريم في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة، كما اتبع القرآن الكريم أسلوب الترغيب، والإنسان أيضاً يحب تغير الحال دائماً إلى الأحسن فإذا رغبته بما سينال فإنه ينقاد لما يقال له، فالترغيب عند البدء يكون بالمحسوس، ثم ينتقل إلى المغيب فإذا ما آمن بصدق الدعوة فإنه سيؤمن أيضاً بما تخبر عنه هذه الدعوة من الأمور الغيبية، والقرآن وعد بالأمرين، بحياة رغيدة معاشة، وحياة أخروية غيبية فيها كل السعادة التي لا تزول، قال

اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ
 يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ
 وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ
 وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنَ
 سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا
 الْكَفُورُ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ: ١٥ - ١٧) كان الإنعام عليهم وفيراً،
 وقد أغدق الله عليهم من الرزق بما لذ وطاب، لما
 كانوا عليه من الإيمان والعبادة لله، فلما بدلوا حلت
 بهم النقم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ
 بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ ﴿١١﴾ (الأعراف: ٩٦) لقد
 حفل القرآن الكريم بخطاب الترغيب من أجل
 استنقاذ الإنسان من العذاب وعودته إلى جادة
 الصواب، فخطب قوم نوح بما يرغبهم ﴿فَقُلْتُ

أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴿لنوح: ١٠ - ١٢﴾ وكذلك قوم شعيب وقوم

هود وقوم صالح، وقد اقتضت حكمته جل وعلا أن

يكون في الآخرة داران، دار نعيم أبدي لعباد الله

المؤمنين الذين التزموا بمنهج الله في الحياة الدنيا

اقتداء بالأنبياء ﷺ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] والتزموا بما يترتب على هذه

العبادة من صلاح وإعمار للأرض، ودار بؤس وشقاء

وعذاب أبدي للذين خالفوا منهج الله في الحياة

الدنيا، وركبوا أهواءهم واقتدوا بشياطينهم؛ فعاثوا

في الأرض تدميراً وإفساداً، فكانت الجنة للمؤمنين

الموحدين، وكانت النار للكفار والمشركين

المكذبين، فما صفات الجنة؟ وما صفات النار؟

الجنة دار الخلود للمؤمنين

ذكر القرآن الكريم الجنة كثيراً وبأساليب متعددة ومتنوعة تحمل التشويق والترغيب المحب للنفس لإحداث الألفة والعشق من الإنسان لها، وليكون من محبيها ومن العاملين لنيلها، كما ذكر القرآن كافة الطرق الموصلة إليها، ومن يمكنه أن يصبح من أهلها ونزلاتها، فيعيش فيها هانئاً مكرماً منعماً أبداً الأبدية.

الجنة جنان وجنات

ذكر القرآن الكريم الجنة بلفظ المفرد في نحو من ست وستين مرة، ولفظ الجمع في نحو من ستين مرة، ولفظ المثني في ثلاثة مواضع كلها في سورة الرحمن، وأضيفت للجنات كلمة عدن، حيث ذكرت في ثمانية مواضع، منها ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ

الَّذِينَ أَحْسَنَ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴿النحل: ٣٠ - ٣١﴾

فما ميزة جنات عدن؟ قال الشوكاني في تفسيره:
جنة عدن هي أعلى الجنة وقيل أوسطها، وقيل:
قصور من ذهب لا يدخلها إلا نبي أو صديق، أو
شهيد، ودار عدن هي دار إقامة غير منقطعة، ففي
الحديث الذي أخرجه البخاري عن سمرة بن جندب
أن النبي ﷺ قال لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فأنهيا
إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من
خلقهم كأحسن ما أنت راء وشر كأقبح ما أنت راء، قالوا
لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا
قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالوا
لي: هذه جنة عدن وهذا منزلك، قالوا: أما القوم الذين
كانوا: شطر منهم حسن وشر منهم قبيح فإنهم خلطوا

عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم ﴿ كما ذكرت
 جنات الفردوس مرة واحدة في سورة الكهف ﴿ إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨]
 والفردوس الشجر الكثير الملتف ويغلب على شجر
 العنب، وورد في الفردوس أحاديث تعطي هذه
 الكلمة بعداً أوسع، ففي الصحيحين عن أبي هريرة
 أن النبي ﷺ قال: ﴿ إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس،
 فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه
 تفجر أنهار الجنة ﴾ وأخرج أحمد والترمذي عن عبادة
 بن الصامت أن النبي ﷺ قال: ﴿ إن في الجنة مائة
 درجة كل درجة منها ما بين السماء والأرض والفردوس
 أعلاها ومن فوقها يكون العرش ومنها تفجر أنهار الجنة
 الأربعة فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ﴾ والسؤال: لمن
 أعد الله هذه الجنات؟ والجواب ﴿ وَعَدَ اللَّهُ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢]

صفة الجنة

حبب للنفس الخضرة والماء والشكل الحسن، وكل
هذا مجتمع في الجنة ألم يذكر الله تعالى أشجارها
وأنهارها والحدود العين فيها؟ لهذا فالنفس تهفو لها
وتهواها وإذا ذكرت بأوصافها فما يقر للقلب قرار
من شوقه وشدة خفقته تمنياً واشتهاء لها، وتغمر
الإنسان قشعريرة الإيمان شوقاً وطمعاً بما عند الله
لعباده المتقين، وينسى الإنسان نفسه أنه أرضي لأن
تطلعه عند ذكرها علوي سماوي يذوب توقاً لها
ويسرح في خياله لتصورها وهي مع ذلك فوق كل
تصور، ففي قصور الدنيا التي شيدها فنانون في
العمارة والتزيين يعجب الإنسان أشد العجب إذا دخل

تلك القصور وتجول فيها، وتتملكه الدهشة من عجيب ما يشاهد من دقة الصنع وعلو الفن، فما بالك بمزين هذا الكون ومبدعه؟! وإن ما خبأه للمؤمنين في جناته هو أروع وأبهى، لقد قال الشاعر عندما رأى مناظر الجبال وأشجارها وهي قطعة من جمال هذا الكون:

حسبنا فيما نرى من مشهد ** أن في الجنات ما يعدو الخيالا

الجنة في القرآن

تنوع أسلوب القرآن في ذكر الجنة من أجل الترغيب فيها وتقديم العمل الصالح لنيلها، وكان أول نزلائها آدم عليه السلام ولفترة محدودة ومع ذلك فمن خلال متابعة الآيات التي ذكرت وصف الجنة أثناء إقامة آدم فيها نتعرف على بعض مشاهدها ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥) وتدل الآية

على العيشة الهنية الرخية من خلال كلمة "رغد" كما تدل عبارة "ولا تقربا هذه الشجرة" على وجود أشجار كثيرة استنتني منها هذه الشجرة لوجود أمر ما فيها، وفي آية أخرى ضمن الله الرزق لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ [طه: ١١٨ - ١١٩] فطمأنه بأن فيها الطعام والشراب واللباس فأمن من غائلة الجوع والعطش والكدح لتحصيلهما ومن خزي التعري، وبالقصور التي لا تعرضه لضحوة النهار أو التعرض للصفحها، ولكن لم تطل مدة مكث آدم في الجنة فسرعان ما أخطأ فخرج منها هو وزوجه بوسوسة إبليس له وإغوائه بالعصيان ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (١٢١) ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٢] ولم تطل أيضاً فرحة إبليس بما جوزي به آدم بسببه، فقد تاب الله عليه وأحسن إليه واجتباها

بالنبوة، ولعل آدم قد قص على أبنائه وأحفاده الذين عاشوا معه ما كان عليه من الحياة الوداعة الجميلة في الجنة، وما كان فيها من النعيم، فهو خير من يصفها من البشر لأنه دخلها، فلا نصب فيها ولا تعب يأتيه كل شيء يتمناه بلمح البصر، ثم تحول إلى الأرض ليكدح فيها ويتعب في تحصيل رزقه، وربما كان يتكلم بحسرة ملؤها الندم فيما فرط وعلى تعجله وقلة حذره في الوقوع بمصيدة الشيطان، ولكن توبته محت خطأه فعاش على الأرض يقظاً وحذراً من مكائد الشيطان، ثم لما تطاول العهد بعد آدم؛ فأرسل الله الأنبياء هداة للناس يبشرون مَنْ آمَنَ بالجنة مع ذكر بعض أوصافها التي تجعل النفس الإنسانية في شوق وتوق إليها ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا

هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ

مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] ولكن من

العجيب أن قساة القلوب ما كانوا ليتأثروا بما يلقي عليهم من صفات الجنة ويصرون على الكفر ومجابهة الأنبياء، فما أقسى تلك القلوب التي لا يروق لها الجمال ولا ترقُّ له، فهي كما وصف الله

تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ

خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴿٧٦﴾ [البقرة: ٧٦] ما أجمل ذلك النداء

الصادق المشفق على أولئك الذين ضلوا الطريق فناداهم للأوبة إلى الله والدخول في رحمته ليستتقذوا أنفسهم من عذاب محقق أليم في يوم الحساب الذي لا مفر منه ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يَبْعَثُ

قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
 فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ الْيَوْمَ الْجَمْعُ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّفَاثِ ۚ وَمَن يُوْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٩﴾ (النفاثين: ٧ - ٩) ويتوالى النداء للمؤمنين وغيرهم
 للدخول في طاعة الله وأن هذا سيقطب حياتهم
 المظلمة الكثيبة إلى حياة ترفل بالنور والنعيم،
 ويكون مآلهم جنات الخلود، ويتوالى وصف الجنة
 ترغيباً بها ليطلبها أهل الهمة العالية ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
 وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ
 طَعْمُهُ ۖ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ
 فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ

وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴿لمحمد: ١١٥﴾ ومن أجل

تثبيت المؤمنين وحثهم على العمل الصالح لنيل الجنة خاطبهم بلغة الربح والتجارة لكي يعملوا ويجدوا في طلبها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ نَحْوِ نَجِيحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ

الْهِمِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ

وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ

ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴿الصف: ١٠ - ١٢﴾ إنها دعوة من

رب غفور رحيم فتح لهم باب التوبة على مصراعيه فلم يؤاخذهم على ما أسلفوا من قبل، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وبعد هذه الدعوات للدخول في طاعة الله تعالى والبعد عن الكفر والجحود والفسق، تُفيض صفحات القرآن الكريم بذكر الجنات ترغيباً

وتحبيباً وحثاً على الفوز بها، فمن ذكرٍ موجز لها
 بأنها جنات تجري من تحتها الأنهار إلى الكشف
 رويداً رويداً عما بداخلها من خيرات وكنوز إغراء
 للعاملين المجدين للتسابق إليها، وترغيباً بالعمل
 الذي يقربهم منها ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى
 نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]

وأي فوز بعد هذا الفوز خلود في النعيم، لذلك رغب
 الله في التنافس والسباق لنيله، وليس هذا التنافس
 على المركز الأول كما هو في الدنيا، فالأماكن
 في الدنيا محدودة للأوائل فقط ثم يرجع الباقيون بلا
 جائزة؛ لكن خير الله وافر وعطاؤه كثير يسع خلقه
 كلهم، فالمنافسة في الخير بين المؤمنين يحبها الله
 بل ويباهي بها ملائكته ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢١] ثم تفصح الآيات أكثر

فأكثر عن كنوز الجنة وما أعده الله فيها من النعيم ليسعد به المؤمنون فيكون سروراً على سرور

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾

[الحج: ٢٢] وصف زائد صور حال المؤمنين في الجنة

لبباسهم وحليهم، فما كان ممنوع عليهم في الدنيا

أحله الله لهم في الجنة، فهناك الزينة والذهب

والفضة واللؤلؤ والحريير والألوان الزاهية، فالدنيا

دار كدح وعمل ومثل هذه الزينة فيها لا تصلح لأداء

الأعمال كما أنها لا تتوفر لكل إنسان فتدخل

الحسد والبغضاء بين الناس، وفي الآخرة كل شيء

متوفر، أطلبُ تُعطى، كما أن الحسد من شأن الدنيا

وليس له مكان في نفوس المؤمنين في الآخرة

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آتَتْهُمْ فِيهَا سُلَاسِمٌ ۚ أَمْثَلُ الْمُنَىٰ ۚ وَأَنْهَارٌ كَالْحَمِيمِ ۚ وَفِيهَا زُجُجٌ ۚ وَأَنْهَارٌ كَالْحَمِيمِ ۚ وَفِيهَا زُجُجٌ ۚ وَأَنْهَارٌ كَالْحَمِيمِ ۚ ﴾ (٤٥)

﴿ أَمِينٌ ۚ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ ۚ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۚ ﴾ (٤٦)

﴿ (الحجر: ٤٥ - ٤٨) ويستمر الوصف للجنات وما فيها زيادة في الترغيب والإغراء وفي كل آية يكشف عن جديد، وما خبأه الله لعباده أكثر من هذا بكثير لتكون المفاجأة أوقع أثراً وليعلم المؤمنون أنهم في رحاب رب كريم عطاياء تفوق الوصف والخيال ﴾ (٤٧) ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآثٍ ۖ ﴾ (٤٨)

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۖ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ۖ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ۖ أَنْزَابٌ ۖ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۚ إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَقَادٍ ۚ ﴾ (٤٩ - ٥٤) ثم يزداد الوصف

أكثر بأن هذا الشراب لذيذ وغير مسكر، وأن القاصرات الأتراب لهن صفات محببة أخرى تزيد من جمالهن ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَكَّهُ اللَّهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) ﴿

[الصفات: ٤٠ - ٤٩] فقد تعدى الوصف إلى الجلسات العامة لأهل الجنة على سرر وأية سرر؟ إنها من الذهب، وإلى الشراب الطيب الذي ينعش ولا يسكر وإلى الحور الحسان، حياة يتمناها كل إنسان، وقد يفتش عنها بعض الأثرياء في الدنيا ولكن أنى لهم مثلها؟ ففيها الطهر والنظافة والنساء اللاتي لم يطمثن أحد، فقد شبهن بالببيض المكنون الذي يحافظ عليه صاحبه من أن يمسه

أذى فيحفظه بأحسن الأماكن سلامة وبعداً عن
العبث، وتأتي في سورة الطور زيادات مبهجة؛ حيث
الذرية الصالحة تكون مجتمعة فيفرح الأب بأبنائه
والجد بأحفاده لأنهم كانوا بعده على طريق الإيمان

والعمل الصالح ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧)

فَكَهِينٍ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨)

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ

مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ءَلَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا ءَلَنَّهُمْ مِنِّ عَلَيْهِمْ مِن شَيْءٍ

كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا

يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْشَرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ﴿٢٣﴾

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي ءَهْلِنَا

مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ [الطور: ١٧ - ٢٦] أَرَأَيْتَ مَسْتَوَى الْخِدْمَةِ؟

ولدان مخلدون يضاهون اللؤلؤَ جمالاً وصفاء وقد تدلت أقراط الزينة من الجوهر من آذانهم أعدهم الله على هذه الصفة من الحسن لخدمة نزلاء الجنة، وهناك مجالس عائلية يتبادل فيها الأهليون والأصدقاء أحاديث الود والصفاء والذكريات عما سلف في الدنيا؛ مع خدمة مميزة وتنازع للشراب، والتنازع هنا ليس بمعنى الخلاف، وإنما من باب: انزع لي دلواً من البئر أي اغرف لي منه.

وبعد هذه الشواهد القرآنية عن الجنة وما كشف لنا فيها من النعيم نستعرض الأحاديث الشريفة في هذا الشأن، فالقرآن عُرِف عنه الإيجاز، وإشاراته تكفي الحصيف النبيه.

في الحديث

أخرج الترمذي عن أبي هريرة أن نفراً من الصحابة سألوا النبي ﷺ عن الجنة ﴿قلنا الجنة ما بناؤها قال:

لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الإذفر،
وحصباؤها الياقوت وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا
يبأس، ويخلد فلا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»
وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن في
الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة؛ فتهب ريح الشمال فتحثو في
وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى
أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم:
والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً! فيقولون: وأنتم والله
لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً» وهكذا فإن الأزواج
كلٌّ يرى قرينه أجمل مما كان إذا غاب عنه قليلاً
ثم عاد، وهذا خلاف الدنيا حيث ينقص فيها
إعجاب القرين بقرينه مع مر الأيام فيفتر الهيام
ومعسول الكلام، وأخرج الترمذي أن النبي ﷺ
قال: «إن في الجنة لخيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلاً
في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم
المؤمن» فأهل هذا المؤمن مجتمعون تحت هذه الخيمة

ولكن في بيوت بعيدة بعضها عن بعض، وفي قطعة من حديث المعراج فيما أخرجه الشيخان وأحمد، أن النبي ﷺ قال: «ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جناز - تلال - اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» كما ورد أن الكوثر من أنهار الجنة، فعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ومجره على الدر والياقوت؛ تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» قال الترمذي حديث حسن صحيح، وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة؛ قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض؛ لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يمرضون ولا يمتخطون ولا يبصقون آتيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم من الذهب، ووقود مجامرهم من الألوة - العود -

ورشحهم المسك ﴿ وفي الصحيحين عن أبي سعيد
الخدري أن النبي ﷺ قال: ﴿إن أهل الجنة ليتراءون أهل
الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر -
الطالع - من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم،
قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم،
قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين﴾.

هذه اختيارات من الأحاديث التي تصف الجنة وقد
اخترتها من الصحاح وأضربت عما ورد في غير
الصحاح لما فيها من المبالغات التي قد تضعف ما
نحن بصدد من الترغيب، وإن أولئك الذين ينتحلون
الأحاديث وحجتهم الترغيب لمؤاخذون أمام الله أشد
المؤاخذة للكذب على رسول الله ﷺ، وقد وصف
النبي ﷺ الجنة بما لا مزيد عليه ثم ختم ذلك بقوله
كما هو عند البخاري عن أبي هريرة ﴿قال الله تعالى:
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر، فاقروا إن شئتم ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿١٧﴾ [السجدة: ١٧] فلا يصح أن يأتي بعد هذا منتحل
للأحاديث فيروي من مخيلته ما شاء، ويعطي من
أطوالها ومنازلها ما شاء من الأرقام، وينسب ذلك إلى
النبي ﷺ بحجة أنه يرغب في الجنة فهذا افتئات
على الله وتزوير للحقيقة ولكلام النبي المعصوم.

أحوال أهل الجنة

حياة طويلة أبدية لا يمكن أن تنقل في صحائف أو
تحتويها الأسفار، ولكن ذكر الله لنا ما سيكون
من حال أهل الجنة على وجه العموم؛ من التمتع
لتقريب الصورة إلينا وترغيب العباد إلى تحقيق
شروط دخولها وبذل الجهد في ذلك، وعدم التواني
في السعي إليها والمداومة على الطاعات في الدنيا
والصبر على مجاهدة النفس والعمل لأجلها، طالما أن

للإنسان قلب ينبض وروحاً تغذي الجسم، فمُكث
الإنسان في الدنيا مهما طال عمره قليل فهو عابر
وليس بمقيم، وهي ليست بدار مقام، وزوالها
سريع، فالدنيا كما شبهها النبي ﷺ براكب
استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، ففي الحديث
الذي أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال:
نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في
جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذت لك وطاء، فقال:
﴿ما لي وما للدنيا ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم
راح وتركها﴾ فهذه الحياة السريعة الزائلة على الأرض
لا تحتاج إلى التعلق بها وإعطائها أكثر مما ينبغي
من الاهتمام، لا أقول بمذهب الانعزال والانطواء،
وإنما قصدي العمل والدأب للتمكين بها، واستغلال
ما أودع الله فيها من خيرات لنا ضمن الضوابط
الإسلامية التي تدعو للعمل الصالح الذي يصرف
ثوابه إلى الآخرة.

مشاهد بديعة

وفي عدد من سور القرآن الكريم مشاهد بديعة جميلة تصور لنا جنات الخلود أجمل تصوير.

وليكن المشهد الأول من عروس القرآن سورة الرحمن تأخذ بتاليها إلى الملكوت الأعلى تخرجه من نطاق الجاذبية لينقل فكره مع آياتها التي تأخذ بمجامع القلوب وهو ينتقل معها من مشهد جميل إلى آخر أجمل وكلما هم بالعودة إلى الأرض تجذبه قوى أكبر وأقوى ليبقى في رحاب الكلمات الندية إلى آخر المشهد القرآني الذي صور الحياة في جنات الله، فبعد التمهيد بما أودع الله تعالى في الكون من جمال؛ وبما خلق من شمس وقمر ونجوم وشجر ونخيل وزهر ومياه عذبة ومالحة وحلي جميلة لم يكن للإنسان يد في صنعها وإنما هي من إنعام

المنعم جلت قدرته، ثم بيان محدودية قدرة الإنسان والجان وأنهما مهما بلغا من القوة والخبرة فإنهما ضعيفان مسيطر عليهما وأن مصير المجرمين والمكذبين في النار، ثم يأتي الترغيب لعباد الله الطائعين ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ (٤٦) ﴿فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٧) [الرحمن: ٤٦ - ٤٧] قيل في هاتين الجنتين أنهما للمؤمن؛ واحدة له لأن الله تعالى قد خلق الإنسان وخلق له جنته، فالذي يكفر يحرم من جنته فيرثه المؤمن، وورد عن أبي موسى الأشعري فيما أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن» وفي سورة الرحمن أتبع الله كل آية (فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) والآء هي النعم وقيل القدرة، فَذَكَرُهَا هَكَذَا ليستشعر الثقلان من

الإنس والجن نِعَمَ الله عليهم، فلا يُنسى كثرة
 ذكر النعم بعضها بعضاً، فكانت هذه الفواصل
 العذبة الندية، وقد أورد الترمذي " أن النبي ﷺ
 قرأها على أصحابه وهم يستمعون صامتين -
 كأنما أخذوا ببلاغتها وروعة ما فيها من بيان
 وجمال - فقال لهم: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن
 فكانوا أحسن مردوداً منكم؛ كنت كلما أتيت على قوله
 (فَيَأْتِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا
 نكذب فلك الحمد" ثم تمضي سورة الرحمن بذكر ما
 في الجنة من إنعام ونعم (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) والأفنان هي
 الأغصان المورقة (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) في كل جنة منهما
 عينان تجريان بماء عذب نмир (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
 زَوْجَانِ) فهذا إجمال لكل الفواكه فما من فاكهة
 خلقها الله إلا وموجودة فيهما، وكلمة زوجان كما
 هو معروف في عالم النبات زهور مذكرة وزهور

مؤنثة لكي يتم التلقيح وتخرج الثمار في أجود ما
 تكون كما هو الحال في النخيل، وقد تحمل
 الزهرة غبار الطلع المذكورة وفيها المدقة المؤنثة
 فتتلقى هذا الغبار ويتم التلقيح بإذن الله، وقيل عن
 الفاكهة: منها الرطب الندي ومنها المجفف، والأول
 يبدو لي أظهر فما الحاجة في الجنة للمجفف
 والطازج موجود لا ينقطع، كما أن الآية أتبع
 بالزوجين من الإنسان وذلك للمقابلة، فكما أن في
 الفاكهة زوجين في الجنة؛ فالمؤمن فيها مقترن أيضاً
 بزوجة، فهما زوجان، فلا عَزَبَ في الجنة كما ورد
 في الحديث الذي أخرجه الدارمي عن أبي هريرة، أن
 النبي ﷺ قال: «ما في الجنة أحد إلا له زوجان إنه ليرى
 مخ ساقهما من وراء سبعين حلة ما فيها من عَزَبٍ» وكما
 بينته الآية في سورة يس ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ
 كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿يس: ٣٦﴾ ثم انتقل النص القرآني إلى الأزواج وبيان حالهم الفارهة، فإلى الجنة ونعيمها ﴿مُتَكِينِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الرحمن: ٥٤) جلسة محببة إلى النفس تبعث على الراحة والطمأنينة والاسترخاء في هدوء، وهي عادة أهل مجالس السمر؛ حيث ترفع الكلفة بين المتحدثين، كما هي أيضاً جلسة الزوج المتأمل لجمال زوجته وهي غادية رائحة أمامه تحضر له من الطعام ما لذ وطاب فيكون في هذه الحالة في قمة السعادة وانسراح النفس، والاتكاء على فرش مريحة غطيت بأجمل الحلل، فإذا كانت بطائنها من الإستبرق الجميل الجذاب فماذا ستكون أوجهها الظاهرة؟ وقد يكون الاتكاء على هذه الفرش لكلا الزوجين كل على طريقته، وتكتمل السعادة في أن جنى الجنتين دان قريب يستطيع أن يجني المؤمن منه

ما شاء دون تكلف أو تعب، والثمار أطيب ما تكون وهي طازجة قد جُنيت لحظة تناولها؛ كما وأن اشتهاؤ الإنسان الأشد لها عندما يراها متدلية من شجرها في منظر أخاذ تغري الناظرين، فقد جل مبدعها سبحانه، وبعد حاجة الإنسان للطعام والشراب تأتي حاجته للمتعة الجنسية التي غرسها الله في كلا الزوجين؛ لأنها متعة من نوع آخر، وإرواء لحاجة في الجسم غير حاجة الطعام والشراب ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الْغَرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْشَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ

﴿٥٦﴾ (الرحمن: ٥٦) أحسن ما تكون المرأة إمتاعاً للزوج وهي بكر، وأحسن ما تكون انقياداً لزوجها وطاعة له ومحبة تعطيها المتعة عن حب مفروط عندما تكون قاصرة الطرف لا ترى غيره رجلاً، ولا تريد سواه بعلًا، كل مفتون بجمال الآخر ومغرم به - وما كثرة الطلاق في هذا العصر إلا من تطلع الرجال

والنساء إلى الممثلين والممثلات وما يعرض في التلفاز من مظاهر خادعة جعلتها الأصباغ وحسنتها آلة التصوير فلم يقصر كلا الزوجين نظره على الآخر بل تعداه إلى هذا وذاك وهذه وتلك فوقعت الفتنة ووقع التنافر - ففي الجنة تحقيق منتهى الألفة بين الزوجين، ثم تأتي زيادة في وصف حور الجنة ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨) سحراً ونقاء ونضرة ونعومة وجاذبية فوجهها يشع كالمرآة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (الرحمن: ٦٠) فأنت أيها العبد المؤمن الذي عبد الله ووحدّه وكدح في الدنيا عاملاً ملتزماً بأداء حق الله وحقوق العباد، فما جزاء هذا العبد الذي أحسن في عبادته إلا أن يلقي من الله جزاء هذا الإحسان بإحسان يفوق ما قدم، وقيل: وهذا قانون الله في الدنيا وفي الآخرة مع المسلم، ومع غير المسلم في الدنيا، وإذا كان يظن

من لم يبلغ مرتبة النبيين والصديقين والشهداء
 والصالحين؛ أنه لن ينال شيئاً، فقد طمأنه الله تعالى
 بأن له نصيبه المكتوب وفق ما قدم من عمل، وهو
 أيضاً وافر كبير وإن كان أقل من درجة أولئك؛
 لكن في عالم الآخرة هو عطاء كبير (وَمِنْ دُونِهِمَا
 جَنَّاتٍ ﴿١٢﴾) فهاتان الجنتان الأقل درجة انظر أيها
 المؤمن ما فيهما (مُدْهَامَتَانِ ﴿١٤﴾) فمن كثرة ما فيهما
 من الخضرة والشجر المورق ضربتا إلى السواد (فِيهِمَا
 عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿١٦﴾) تفوران بالماء العذب السلسبيل
 (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿١٨﴾) من كل أصناف الفاكهة
 ومن الرطب والرمان وهما من الفواكه اللذيذة
 المحببة إلى النفس، فلا تظن أيها المؤمن أن هاتين
 الجنتين خلوّ من الجنس اللطيف (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ
 ﴿٢٠﴾) فالخيرات هنا ليست طعاماً أو شراباً وقد عبر

عنهن بنون النسوة أي هن من الحور وأنهن حسان
(حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾) وأنهن في منازلهن،
 والمنزل عبارة عن درة مجوفة، تنتظر فيه كل واحدة
 منهن زوجها وهي بكر عروب، ففي الحديث الذي
 أخرجه ابن ماجه عن معاذ بن جبل أن النبي **(ﷺ)**
 قال: **«لا تؤذي امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور**
العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخیل أو شك أن
يفارقك إلينا» وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن
 أدنى أهل الجنة منزلة **«أنه يدخل بيته فتدخل عليه**
زوجته من الحور العين فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا
وأحيانا لك» فعلى هذا هناك حوريتان مخصصتان
 لكل مؤمن وقد يزيد العدد وفق درجة التقى؛ فقد
 أخرج الترمذي عن المقدام بن معدي كرب، قال:
 قال رسول الله **(ﷺ)**: **«لشاهد عند الله ست خصال:**
يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من
عذاب القبر، ويأمن يوم الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه

تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» حسن صحيح. هذا إضافة إلى - زوجاته - زوجته التي كانت معه في الدنيا إن كانت من الصالحات فالله تعالى يعطيها جمالاً محبباً إلى زوجها تنافس فيه الحور من دون غيره ولا شعور بأنهن ضرائر فكلهن راضيات مُحِبَّات لهذا الزوج (مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفَرٍ خُضِرَ وَعَبَقْرِي حَسَانٍ) (٧٦) باللزجات من الحور العين لقد أعطين ما يناسبهن من الجلوس والانتظار، جلسة أنثوية تتمدد فيها هذه الحورية على مرتفع أخضر متحرك يرف كأجنحة الطائر ذهاباً وإياباً وأقرب تشبيه لهذا أنها الأرجوحة وهي كالسرير المعلق الذي يتأرجح بمن جلس عليه زيادة في السعادة والمتعة وهي تلبس الثياب العبقرية الجميلة الخلافة تنتظر بعلمها لتجلسه معها في هذا السرير المتحرك، لذا نالت هذا الوصف الذي يختلف



بالطبع عن جلسة الرجل التي ذكرت سابقاً (مُشْكِينِ
عَلَى فُرْشٍ... ﴿٥٤﴾) أما هذه فإنها جلسة حور الجنة بما
يناسبهن من المساند التي لا تخطر على البال من
جمالها، وأن العبقرى وإن فسرهما بعضهم بالزرابي
والطنافس وتركها بعضهم الآخر دون تفسير
معتمداً على أن هذه اللفظة خاصة بكل شيء خيالي
خارق لا تأتي به إلا الجن من وادي عبقر، إلا أنني
أقول: إن هذه اللفظة تناسب ملابس الحور العين
فهن متكئات على رفرف خضر بملابس غاية في
الجمال، قال ابن سيدة: عبقر قرية في اليمن أو في
الجزيرة يوشى فيها الثياب والبسط "ثيابها في غاية
الحسن" والجودة فصارت مثلاً لكل منسوب إلى
شيء رفيع - تاج العروس - وإن قيل: ما الذي
جعلك تقول: إن هذه الجلسة خاصة بالحور لا
بالرجال وقد ذكرت كلمة "مُشْكِينِ" وهي للرجال



ولو عني النساء لقال "متكئات" أقول لقد قدم في
 السورة وصف جلسة الرجال (مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ) وآخر
 وصفاً لجلسة النساء للمقابلة بين الجليستين لاختلاف
 المساند المناسبة لكل منهما وأن الرفرف أي
 الأرجوحة عادة ما تكون عليها جلسة النساء كما
 هو في عصرنا الحاضر في بيوت المترفين حيث تجلس
 المرأة في حديقة منزلها على هذه الأرجوحة مصطبحة
 متعرضة للهواء الطلق وهذه الأرجوحة معروفة أيضاً
 عند الأمم السابقة، كما أن سياق الآيات ابتداء من
 (فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ) إلى آخر السورة هي ذكر متتابع
 للمؤنث، فدل على أن المقصود بالجلسة هن
 الحوريات، وأما كلمة "مُتَكِّينَ" فقد ذكرت
 لتناسب كلمة حور فهي تقبل التأنيث والتذكير،
 فتقول نساء حور ورجال حور، كما وأن هناك سور
 ذكرت ملابس الرجال في الجنة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
 أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
 مُتَشَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

[[الكهف: ٣٠ - ٣١]] ولم تُذكر ملابس النساء من الحور
 فجاء ذكرها الآن بما يناسب، ولقد قرأت لأبي
 البقاء العكبري في كتابه إعراب الحديث النبوي
 تخریجة لطيفة لحديث نبوي فيه إشكالية مشابهة
 أفادت مسألتی هذه، قال: ورد حديث "إن أول زمرة
 تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة
 القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري
 في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون
 حلة يُرى مخ ساقها من وراء لحومهم أو دمائهم أو حللهم"
 قال: فجعل ضمير الجمع للمذكر وهو يعني المؤنث،
 والوجه فيه أنه نزل المؤنث منزلة المذكر على ما

جرت به العادة من صيانة المؤنث، ثم قال: وأما الجمع في الضميرين الأخيرين وتذكيرهما فلأن الحور وإن كن إناثاً فحكمهن حكم الإنسان أو المخلوق وقد جاء في الشعر:

قامت تبكيه على قبره من لي بها بعدك يا عامر
تركتني في الحي ذا غربة قد كل من ليس له ناصر
أي: ذات غربة، وقد يذكر مثل ذلك في المؤنث لستر الحال - إعراب الحديث النبوي ص(٢٠٤).

وقد تصرف هذه الجلسة على رأي المفسرين للرجال لبيان حال جلستهم في الجنة الأدنى - حيث لم أجد أحداً من المفسرين انتبه إلى هذا الاستنتاج - والله أعلم .

وأما المشهد الرائع الثاني في الجنة فقد ورد في سورة الواقعة، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ (١٠) **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** (١١) **فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ** (١٢) [الواقعة: ١٠ - ١٢]

مدح الله السابقين إلى الإيمان وهم السابقون إلى الجنة، وتكرارها مرتين دليل المدح والإشادة، فهم المقربون من الله تعالى في جنات النعيم، وبعد هذه المقدمة الموصلة بهذه الفئة إلى الجنة؛ لم يقتصر الكلام على العموميات، فطالما أن هذه الزمرة من المؤمنين قد سبقت إلى الإيمان؛ فلا بد من أن يريهم ربهم مكانتهم في الجنة وما سيتتعمون به، وهم عموم من سبق إلى الاستجابة لدعوة الأنبياء (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾) والثلة الجماعة وليست بالكثيرة (وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾) عني بهؤلاء أمة محمد (ﷺ)، حيث كان السابقون قلة تعد على أصابع اليد؛ منهم أبو بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد، والسابقون من الغلمان علي وزيد بن حارثة ومن النساء خديجة وبناتها (ﷺ) جميعاً، ولما دخل المسلمون دار الأرقم بن أبي الأرقم وبدأ العدد يتزايد فكان أن أسلم

حمزة ثم عمر بن الخطاب فبلغوا نحواً من أربعين رجلاً، وبعد ثلاث عشرة - مدة دعوة النبي (ﷺ) في مكة - بلغ العدد نحواً من ثمانين رجلاً سوى الذين هاجروا إلى الحبشة (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾) أي منسوجة من خيوط الذهب (مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾) وتذكر دائماً جلسة الارتخاء وتمدد الجسم بما يريحه وهي جلسة الاتكاء، فجلسات العمل والانهماك به لا تكون بوضعية الاتكاء، وعلى هذا فجلسات الجنة الخاصة والعامة جلسات راحة واسترخاء على سرر مصفوفة يقابل بعضهم بعضاً (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾) وبالرغم من يسر الأمر في تناول ما يحتاجه المسلم في الجنة إلا أن من تمام الراحة والسعادة أن يياشر الخدمة على أهل الجنة آخرون، وقد هيأ الله لهذه الخدمة غلمان مقيمون معهم في الجنة مخلدون؛ يباشرون تقديم



الطلبات بثيابهم البهية وطلعتهم المقمرة كأحسن ما يكونون خدمة، وإتقان عمل، ودُرْبَةٌ مميزة على أداء هذا العمل (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ) (١٨) يحملون معهم لوازم الشراب من الأكواب، وهي التي ليس فيها شراب فإذا ما ملئت أصبحت كأساً، والمعين هي أنهار الخمر الجارية التي يُغرف منها بالأبارق لتقدم إلى أهل الجنة، وقد سبق أن هذه الخمر لذيذة منعشة غير مسكرة (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِفُونَ) (١٩) فدل على أن خمر الدنيا تصدع الرأس وتحيل العقل إلى خبال، فتتفلت منه القدرة على التحكم والتصرف فلا يدري على أية حال هو؛ أما خمر الجنة فقد سلب ما فيها من الغول الذي يؤدي إلى الإسكار وذهاب العقل، فلا تتصدع منه الرؤوس ولا تنزف من شربه العقول قليلاً كان أو كثيراً (وَفَلَاحَةٌ مِمَّا يَنْخَرِطُونَ) (٢٠) أصناف لا تحصى من

الفواكه الناضجة الشهية في كل الأوقات وللمؤمن
الخيار فيما يشتهي منها فلا يحده - كما في
الدنيا - فصل لينتظر وهو في الشتاء فاكهة
الصيف (وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١١﴾) فإذا ما أرم المسلم
إلى اللحم فالطيور المشوية جاهزة، فلم ذكر لحم
الطيرون سواء؟ ربما للأفضلية علماً بأن كل ما في
الجنة طيب لذيق، وفي الحديث عن عبد الله بن
مسعود قال: قال لي رسول الله (ﷺ) «إنك لتنظر إلى
الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً» وقد ورد
عن أنس أن طير الجنة كأمثال البخت - الجمال -
ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر: يا رسول
الله إن هذه الطير لناعمة، قال: «أكلها أنعم منها وإني
لأرجو أن تكون ممن يأكل منها» وبعد تناول أطايب
الطعام والشراب واللحم وإشباع لذة البطن؛ تأتي لذة
الفرج (وَحُورٌ عِينٌ ﴿١٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿١٣﴾) فلم

كل هذا النعيم؟ (جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾) أفبعد هذا يحجم إنسان عن طاعة الله وعبادته ؟ أو يتهاون في الطاعة ابتغاء أمر دنيوي، فلو كرّس الإنسان حياته كلها للعبادة لما كان ذلك كثيراً لقاء ما سينال في الآخرة من التكريم، وتعود الآيات القرآنية لتكشف عن مزيد صفات للجنة التي تخدم أهلها (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٣٥﴾) ليس فيها من الكلام الباطل شيء ولا من الكلام الذي فيه إثم وقطيعة وتنابد، فهي للمؤمنين خالية من سفه السفهاء وأخلاق البغاث المسفين في القول الباطل، وقد ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ﴿يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُتِّبُوا وَنُقُوا أُذُنُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي

نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» ففي هذا الحديث ما يدل على وجود عتاب وتصفيات للنفوس بين المؤمنين خارج الجنة وقبل دخولها فإذا انتهوا من ذلك دخلوا الجنة ولا شيء في قلوبهم يحمله أحدهم على الآخر، فما الذي يسمعون فيه إذا؟ (إِلَّا قِيلَ سَلَمًا سَلَمًا) (٦) الكلام الطيب والسلام وهو تحية أهل الجنة، وعودة إلى أهل اليمين بعد السابقين (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) (٧) فهؤلاء أيضاً لهم أجرهم الجزيل ولهم إكرامهم الوايف والاحتفاء بهم، فهم أتباع الرسل الذين آمنوا بالغيب واستمروا على النهج بعد الرسل فلم يروا معجزة وما التقوا بنبي، ففي الحديث الذي يرويه أحمد عن أنس أن النبي (ﷺ) قال: «وددت أني لقيت إخواني، قال: فقال أصحاب النبي (ﷺ): أو ليس نحن إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا

بي ولم يروني ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ (٢٨) شجر السدر له
 رائحة طيبة والمخضود الذي نزع شوكه ففيه فائدة
 الطيب دون التعرض لأذى الشوك ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ (٢٩)
 أفرد الموز بالذكر هنا لمزيد علم أن الموز من فاكهة
 الجنة ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ (٣٠) جلسة ناعمة تحت الظلال
 الممتدة ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ (٣١) لمن يحب الشراب
 والاغتسال وسماع خريره ﴿ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ (٣٢) لَأَمَقْطُوعَةٍ
 وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿ (٣٣) ليست بالمقطوعة التي ذهب نضارها
 بل هي على شجرها وليست بالمتنعة عن الجنى
 فجناها سهل ميسر ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (٣٤) «الحاقة: ١٢٣»
 وبعد التأكيد على ملاذ الجسم أكد لأصحاب
 اليمين جلوسهم على الفراش اللين المرتفع عن الأرض
 لكي تحلو الجلسة، وبعد هذا سيجد هؤلاء المتعة
 في الزوجات والحدود العيون وقد أنشأهن الله تعالى

خصيصاً لهؤلاء الأزواج (جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْيَا أَرْبَابًا
 ﴿٣٧﴾ صفات في الأنثى محببة إلى الرجل: البكارة
 والسن المتقارب مع الرجل، والعُرُوبة: المرأة العاشقة
 التي تزيد في جذب الرجل إليها فيما تقوم به من
 إغراء فاتن وأنس ولطف يحدث جواً من الألفة
 والمتعة، ثم ذكر هذه المرة أن أصحاب اليمين هم
 (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٩﴾) وعليه
 فالعدد من أمة محمد (ﷺ) قد ازداد وتساوى مع بقية
 الأمم كافة، وقد ورد في الحديث النبوي الذي
 أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: كنا
 مع النبي (ﷺ) في قبة فقال: «أترضون أن تكونوا ربع
 أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل
 الجنة؟ قلنا نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟
 قلنا نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا
 نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس

مسلمة، وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر

وأما المشهد الثالث ففي سورة الفاشية، حيث النظم القرآني بالآيات ذات الفواصل القصيرة المقطعة المتتالية كدفقات القطر التي ينتظرها الظمآن بفارغ الصبر ليروي عطشه، فهي في تناغم بديع له فعله وعمله في النفوس، وتبدأ البشرية للمؤمنين بآية

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (الفاشية: ٨) منعمة من خير الجنة ونضرتها فأصبحت في حالة من التمتع والإشراق بما لا مزيد عليه من النضرة والجمال الأخاذ، وقد نجد في الدنيا مثلاً لذلك فما بين وجه كالح علاه التعب والشقاء ولفح الشمس وحر الهجير ووجه إنسان منعم نضير يعيش في ظل ظليل وفي بحبوحة من العيش فلا يأتيه وهج الشمس إلا لمحاً فستان بين نضرة الوجهين، وهكذا فإن نعيم

الجنة يحل على سمات المؤمن بالنعومة والجمال،
 كما في سورة المطففين ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) على
 الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
 [المطففين: ٢٢ - ٢٤] وعن علي (عليه السلام) أن نضرة النعيم عين
 يتوضأ منها أهل الجنة ويغتسلون فتجري عليهم
 نضرة النعيم، وهذه الوجوه ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩)
 [الغاشية: ٩] فقد نالت جزاء سعيها في العمل الصالح في
 الدنيا بما يسعدها ويرضيها في الآخرة، وأية منحة
 خير من هذه المنحة، ومأوى أفضل من هذا المأوى؟
 يكفي المؤمن أنه فاز برضا الله ولا تسأل بعد ذلك
 عن النعيم الذي يأتيه والخيرات التي يتقلب فيها (في
 جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) (١٠) عالية المنزلة رفيعة الدرجة وهي تتراءى
 كالنجوم لكل مؤمن جنته التي يأوي إليها - نحن
 نتخيل وفق هذا الوصف ما عليه حال الجنان ولكن
 بطبيعة الحال لن نصل إلى حقيقتها المبهرة إلا

بالمشاهدة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) ﴿الْحَاقَّةُ: ٢٢﴾ ﴿لَا تَسْمَعُ

فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) ﴿الْفَاشِيَةُ: ١١﴾ وقد مر هذا الوصف من

تناول طيب الثمار المتدلية من الشجر ، مع هدوء بال

وراحة نفس ، وامتناع اللغو وباطل الكلام ، ففيها

المحبة والتسليم وعذب الكلام وندي الألفاظ ، وفي

سورة عم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ (٣٥) ﴿النَّبَأُ: ٣٥﴾

ونتابع الوصف ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) ﴿الْفَاشِيَةُ: ١٢﴾ فيها

الأنهار والعيون وقد ورد أسماء بعضها في سور أخرى

كما في سورة المطففين ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ

﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكَ فِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾

وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

[[المطففين: ٢٥ - ٢٨]] فالمسك يخلط مع شراب التسنيم

الذي يصب فوقه من علٍ، وهذا أنفُس شراب أهل

الجنة ، فهو شراب المقربين وكلهم سيكون مقرباً

إذا كتبت لهم الجنة، وهذه العين تجري من تحت العرش (ويشرب بها) أي منها وقيل الباء زائدة أي يشربها ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٤] ثم تذكر هنا جلسات أهل الجنة على السرر المرفوعة وهي من فضة وذهب مع وثير الفراش، أما الأكواب فهي كعدد النجوم على أطراف الأنهار يغرف منها أهل الجنة ويشربون ألد شراب (وَنَارِيقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾) وهي الوسائد الطرية المريحة الموشاة بخيوط الفضة والذهب والحرير (وَزَرَائِي مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾) هي البسط والسجاد كأروع ما تكون جمالاً وزركشة ونعومة.

المشهد الرابع في سورة الإنسان: صور رائعة لأهل الجنة، وكل سورة من سور القرآن عندما تذكر وصفاً للجنة تأتي بوصف زائد عما ذكر في السورة الأخرى، ففي مجموع آيات هذه السور تتجمع

الأوصاف وتكتمل الحلقات وإن كانت كلها
إشارات موجزة تعد المؤمن وتهيئه للمشاهدة
الحقيقية الرائعة، كما أن كثرة ذكر الجنة للفت
النظر إليها والتحبيب بها من أجل بذل الطاعة
لدخولها، والتوجيه إلى إبداع خالقها الذي أبدعها
وصورها ليُري عبيده قدرته الفائقة في الخلق
والتصوير والإبداع والجمال فهو المستحق للعبادة ؛
وأن كل هذا الإبداع والجمال هو لأجل عبيده الذين
أحبوه وأحبهم، لذلك كان من الأوفق أن نفرّد
لبعضها مشهداً خاصاً، لأن ذكر الجنة فيها لم
يكن إشارة أو لمحاً وإنما فيه إسهاب شائق تتوق له
النفوس حباً وفأل نوال، ورجاء من قلوب خاشعة
تتمنى الإنعام عليها من ربها الكريم غافر الذنب
وقابل التوب الرحمن الرحيم ، وهل يرجى لهذا إلا
هو سبحانه ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ

مَزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ [الإنسان: ٥] لقد تعددت العيون
والأمزجة والأشربة وكلها طيبة المذاق بهية الألوان
وهذا لكيلا يبقى أهل الجنة على شراب واحد، وقد
يكون ذكر هذه الأشربة في القرآن الكريم للمثال
لا للحصر وإنما هناك ما لا يحصى من الأشربة
والعيون ، فهذه العين بيضاء كبياض الكافور (عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾) وهنا أعطي أهل
الجنة قدرة على سوق الماء كما يريدون فهذه العين
مطواعة لهم يجرونها إلى أي مكان يريدون فتتشعب
لهم وتجري في جناتهم ، فلماذا نالوا هذا التكريم؟
والجواب (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾)
يوفون بنذورهم إذا نذروا لذلك كان النبي ﷺ إذا
أتاه صحابي وقال له: نذرت في الجاهلية كذا
، أو علي نذر كذا فإذا كان نذر خير وطاعة قال
أوف بنذكرك - حتى ولو كان نذراً في الجاهلية التي

طمست وذهب ما فيها بنور الإسلام - وقيل النذر
 هنا العهد أي يوفون بالعهد إذا عاهدوا ، وكلا
 التفسيرين حسن ، أما اليوم فهو يوم القيامة وما فيه
 من أهوال وشدائد فقد خافوا ذلك اليوم وأعدوا له
 ما استطاعوا من العمل الصالح (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ
 حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨) فهم لا يعطون المحتاج
 فضلتهم ولا ما زاد عن حاجتهم بل هم أيضاً بحاجة
 إلى الطعام ولكن شاطروا فيه الفقير واليتيم
 والأسير، وفسر الأسير بالسجين والمملوك (إِنَّمَا تُطْعَمُونَ
 لَوَجْهِ اللَّهِ ...) وإطعام هؤلاء ليس من أجل منفعة دنيوية
 ولكن لأن هذا الإطعام يرضي الله تعالى وقد أمرنا
 به (... لَا تَزِدْهُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩) لا نطلب مقابل
 هذا الإطعام مدحاً ولا شيئاً مقابل له، وإن كان
 على الآخذ الردُّ على المطعم بالشكر والدعاء له
 بالأجر والثواب؛ لأن هذا يزيد في التعاون والألفة

وآصرة الأخوة في الله، ففي الحديث الذي أخرجه
 الترمذي عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله
 ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا
 فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّاءِ» لقد خافوا وعيد الله فأحسنوا
 العمل، كما رجوا ثوابه فكان الإخلاص، ولا يجمع
 الله للمؤمن خوفين فمن خافه في الدنيا وعمل لهذا
 الخوف أمّنه الله في الآخرة (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا
 قَطَطِيرًا) (١٠) فالיום ليس هو العابس المقمطر ولكن
 لهوله يظهر هذا العبوس والتقطيب على وجوه الناس
 المذنبين، فهذه استعارة مكنية (فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ
 وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) (١١) بالإنعام عليهم حتى اطمأنوا
 في ذلك اليوم فكانت علامات الوقاية من هذا اليوم
 المخيف بادية على الوجوه بالنضرة والسرور، ثم
 كان التكريم (وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) (١٢)
 وكان يكفي ذكر الجنة لأن فيها كل شيء من

النعيم، فذكر الحرير هنا بهذا الخصوص لابد من
 أنه يرمي إلى شيء أرادنا الله أن نتنبه إلى دلالاته،
 وهو الإعلام بأن لباس أهل الجنة من الحرير هو
 تعويض لهم عن منعهم من لبسه في الدنيا، ولكي لا
 يظن ظان أن الأمر في الدنيا "باخشوشنوا" ينسحب
 على الآخرة أبداً ففي الجنة الرفاهية المطلقة والترف
 الزائد، وتستمر الآيات في وصف أهل الجنة (مُتَّكِئِينَ
 فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) (١٣) والأرائك
 مثل السرر مع وجود مساند للاتكاء وقد تكررت
 في آيات عدة كلمة "مُتَّكِئِينَ" زيادة في تأكيد الدعة
 والراحة في جو جميل وطقس لطيف ليس فيه حر ولا
 برد فكلا الحالين من حر وبرد غير محبب للنفس،
 وأما ذكر الشمس هنا فهو كناية عن الحر وفي
 الجنة لا توجد شمس فهي من أمور الدنيا التي أزالها
 الله، وقد ورد أن كل معبود في الدنيا من دون الله

كالشمس والقمر والنجوم والكواكب تلقى في
 النار مع عابديها ليكونوا سواء ، واستثني من ذلك
 مريم وابنها عيسى عليه السلام لأنهما عبدا على غير
 رضا منهما (وَدَانِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّنُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا) (١٤)
 وذنو الأغصان من أهل الجنة ليس للتظليل من
 الشمس وهي غير موجودة، وإنما للمنظر الحسن
 وإضفاء مزيد من الجمال على جلسات أهل الجنة
 (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمَائِدَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا) (١٥) والقوارير
 تعني الزجاج وقد جمع الله لهذه الأكواب صفة
 الشفافية، فهي من فضة خالصة نقية كأنها الزجاج
 صفاء (قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا) (١٦) يا لحسن هؤلاء
 الولدان وشدة ذكائهم إنهم يقدمون الشراب في هذه
 الكؤوس وفق حاجة الشارب مقدراً بلا زيادة أو
 نقصان (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) (١٧) وهذا
 نوع آخر من الشراب محبوب إلى النفوس علماً بأن

كل مسمى في الجنة من الأشربة أو الأطعمة مشابهاً لما في الدنيا بالاسم لا في المذاق وجعل التشابه للتقريب لا للمطابقة، ففي الدنيا يختلف الطعم حتى في المسمى الواحد، فشرب الزنجبيل في بلد لا يحسن الساقى تحضيره يختلف عن آخر قد تخصص في هذا الفن (عَيْنَا فِيهَا تَسْمَى سَلْسِيلاً) (١٨) وهذا الشراب يؤخذ من عين السلسبيل، فكل عين في الجنة لها مذاقها الخاص بها، وكلها لذيذة طيبة تروق للشاربين، فلا يمكنك تفضيل شراب على آخر، وإنما يتنقل الشارب من شراب لآخر لتنويع اللذة ومتعة التذوق (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا) (١٩) ولذة الشرب تزداد أنساً بما يحيط بها من جمال؛ ولكي تسعد النفوس جعل الله السقاة من أجمل الغلمان كأنهم اللؤلؤ المنشور أي المتناثر هنا وهناك فلا يخلو المكان منهم، وهذا يضيف

جمالاً أكثر من تجمعهم في مكان واحد كاللؤلؤ
المنظوم، كما أن قبح الساقى ينعكس أثره غماً
وكدرة في النفس عند الشاربين، لذلك خلق الله
السقا لهدء الخدءة من الغلمان وميزهم بالجمال
شكلاً ولباساً، وهم مخلوقون في الجنة خصيصاً
للخدءة المتميزة والشكل الجذاب المريح؛ تماماً
مثلما خلق الله الحور العين في الجنة خصيصاً للمتعة
الجنسية، ولقد قلت شعراً في ظرف الساقى ورشاقته
قبل أن أكتب في هذا المجال بأكثر ثلاثين سنة
حيث كنت في معهد جيزان العلمي مدرساً، وكان
يقدم لنا الشاي والقهوة شاب ظريف، فقلت فيه:
جذب الكؤوس وصفها أدواراً متحنحاً حتى نراه جهازاً
فإذا نظرنا صادفتنا بسة تبدي نواجذ سطرت أسطراً
إلى آخر القصيدة، انظر ديواني أزاهير، ثم بَدَل
الساقى بآخر اسمه يحيى، فكان كئيب المنظر
عبوساً مقطباً، فقلت له:

لا بسمه تبدي إذا أسقيتنا لكنا المعطي علا بالسؤدد
خذ هذه الأوراق يا يحيى ورح نحو البريد فلا نراك وأبعد

(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾) وبعد ذكر ما

يمكن أن يقرب لعقولنا شيئاً من نعيم الجنة: أنهارها
وعيونها وحورها وولدانها وشرابها ولذاتها، أمرنا
رَبنا أن ننظر نظرة متفحص في الجنة لكي نستجلي
الحقيقة فيها ونقف على الجمال الأخاذ، فكان
الإجمال في الوصف لأن الرؤية أبلغ وأبهج وأجلى
للأشياء، فإنك أبها المؤمن سترى النعيم والملك
الكبير الممتد الواسع فتدهش وتعجب في كل ما
سوف تراه إلى حد الإبهار، وتعلم علم اليقين أنك
عبدت إلهاً قادراً حقاً له أن يعبد، خلق جنته فوق
تصور الخيال مع إتقان وعلو فن وترف وجمال.

فأين أولئك الجاهلون الذين عبدوا الحجارة
والأصنام والكواكب وغيرها مما لا تملك لنفسها
ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن تخلق مثل هذه الجنات
وتجعل فيها هذا الترف والرخاء وإضفاء اللذات على
النزلاء المتقين؟ ويتوالى بقية الوصف لبيان السعادة
التي تحل على أهل الجنة (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ
وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا
(١٦) وجاء وصف اللباس فكان الإجمال أنه من
حرير، ثم كشف عن لونه ونوعه، إنه من الحرير
السندس الرهيف الذي يتقبله الجسم ويسعد
بلملمسه اللين فيألفه فلا تنافر بين الجلد واللباس
وقد صبغ باللون الأخضر وهو من أكثر الألوان
المريحة للنظر فتسرح فيه العين بهجة وسروراً ولا تود
عنه انتقالاً، وفوق السندس يُلبس الإستبرق وهو
أكثر كثافة من السندس مع حلي الفضة الصافية

في المعاصم، وقد يتنوع لباس أهل الجنة من الحلي
 بين الذهب والفضة كما في آيات سبقت ﴿أَدْخُلُوا
 الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ
 مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ
 الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ [الزخرف: ٧٠ - ٧١]

وفي سورة فاطر ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّتُونَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣٢) [فاطر:
 ٣٢] إنما هذه الجلسة ناسبها حلي الفضة، وفي هذا
 البهاء يطيب الشراب وأي شراب إنه الشراب الطهور
 الذي يرشح من الجسم بعد تناوله طيباً فواحاً تسعد
 له النفوس، فإذا كان رشحه بعد الشرب كذلك،
 فما طعمه يا ترى؟ ولماذا هذا التعميم من رب العالمين
 لعباده ؟ (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) (٣٣)
 كان هذا التكريم والاحتفاء بالمؤمنين لأجل عملهم

المرضي في الدنيا فقد سعوا إلى رضا الله تعالى
باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فأطاعوا الرحمن
وعصوا الشيطان وتعرضوا من قبل الضالين المضلين
المترفين للإهانة والاحتقار والحرمان مما في الدنيا
من متاع خلقه الله وسخره للإنسان، فاستأثر هؤلاء
بالدنيا وزخرفها ودرهمها ودينارها وقصورها
وجناتها، وحدائقها وبساتينها، فصبر المؤمنون على
الأذى والأواء فما ذاقوا من الطعام إلا أقله وما
غرفوا من النعيم إلا ما أحله الله ولا أخذوا من المال
إلا ما كان كسباً حلالاً وكفوا عن الحرام
واحتقروه وأهله فلم تغرهم الدنيا بما فيها بل صغرت
في أعينهم وترفعوا فوق الشهوات وفوق الشبهات
وسعوا إلى الله راغبين راغبين يطلبون رحمته
ويخشون نقمته، فكان هذا السعي مشكوراً من
الله وله هذا الجزاء.

لمن الجنة؟

وردت آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة فيها البشارة بالجنة لأشخاص حددت أسماؤهم أمثال العشرة المبشرين بالجنة وبشارات وفق العمل لأشخاص لم تحدد أسماؤهم وإنما ذكرت صفاتهم، وباب العمل الصالح المؤدي إلى دخول الجنة مفتوح وما على الإنسان إلا السعي لبلوغ المراد ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ

كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩) وفي هذه

الآية نجد أن السعي مشروط بالإيمان (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فعلى هذا فإن الإيمان هو الأساس في نيل الجنة، ولنستعرض عدداً من الآيات التي تؤكد على الإيمان، قال الله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا

﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

... ﴿٥﴾﴾ [الفتح: ٥]

﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١]

وفي الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري عن

أنس قال: ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل

﴿من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، قال: ألا أبشركم

الناس؟ قال: لا، إني أخاف أن يتكلموا﴾

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال:

«تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»

وأخرج مسلم أن عثمان بن عفان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»
وأخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال: بشرني أنه من

مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلتُ: وإن زنى وإن سرق، قال: «وإن زنى وإن سرق» فلما كررها أبو ذر ثلاثاً وكأنه أراد التأكد، قال له النبي (ﷺ) في الرابعة: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»
أعمالٌ وعدَّ رسول الله (ﷺ) المؤمنين إذا فعلوها دخلوا الجنة:

- أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله (ﷺ) قال: «من صلى البردين دخل الجنة» والبردان: العصر والعشاء.
- وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «من غدا إلى المسجد وراح أعدَّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح»
- وأخرج البخاري عن عثمان قال: إني سمعت النبي (ﷺ) يقول: «من بنى مسجداً، قال بكير: حسبت قال يتغني به وجه الله، بنى الله له مثله يوم القيامة»

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فادخله الجنة» كما ورد في البخاري أيضاً عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «غُفِرَ لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي - بئر - يلهث قال: كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له الماء فغفر لها بذلك»

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»

• وأخرج البخاري عن أنس أن أم حارثة بن سراقه أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - لا يُدرى راميهِ - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه البكاء، قال: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)

• وأخرج ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من ثابر على ثنتي عشرة

ركعة من السنة بُني له بيت في الجنة أربع قبل الظهر
وركعتين بعد الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد
العشاء وركعتين قبل الفجر

- وأخرج البخاري عن عمر (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «أيا مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة، قال: وثلاثة، فقلنا واثنان، قال: واثنان، ثم لم نسأل عن الواحد»
- وعن أبي كبشة السلولي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله (ﷺ): «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة» قال: فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة - ومنيحة العنز أن يُطعم من لبنها.

- وأخرج ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال: أول شيء سمعته تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «أيها الناس أفسحوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»
- وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»
- وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كان على الطريق غصن شجرة يؤذي الناس فأماطها رجل فأدخل الجنة» وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء من الإيمان»
- وأخرج ابن ماجه عن صعصعة قال: " دخلتُ على عائشة رضي الله عنها امرأةً معها بنتان لها،

فأعطيتها ثلاث تمرات، فأعطت - الأم - كل واحدة ثمرة ثم صدعت الباقية بينهما - أي جادت الأم بتمررتها لبنيتها فلم تذق شيئاً - قالت: فأتى النبي ﷺ فحدثته، فقال: «ما عجبك لقد دخلت به الجنة».

• ففي حب الأولاد وتربيتهم، أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلناه الجنة»

• أخرج البخاري عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة والوسطى» أشار بهما.

• وأخرج البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» أي لسانه وفرجه.

جوائز ترضية للمحتسبين الصابرين

- أخرج البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ما من الناس من مسلم يُتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث - البلوغ - إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»
- وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رفعه إلى النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجل «من أذهبت حبيبته فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً إلا الجنة» حبيبتيه : عينيه - الحديث حسن صحيح.
- وأخرج البخاري عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال: «اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت على أهل النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وهذا تعويض للفقير الصابر عن فقره في الدنيا.
- وفي الابتلاء العام، أخرج أحمد في مسنده عن أبي الأشعث الصنعاني قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل يقول: إني إذا ابتليت

عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم
من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول
الرب عز وجل: أنا قيدت عبدي وابتليته، وأجروا له
كما كنتم تجرون له وهو صحيح»

- وعن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا
أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه
المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع
وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت
صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك،
فقال: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله
لي ألا أتكشف، ف دعا لها»

موانع دخول الجنة:

- أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ
قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر»

• وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهداً لم يُرَح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»

• وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ألا من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسول الله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً» والحديث حسن صحيح.

• وأخرج مسلم عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: " (لا يدخل الجنة نمام) وفي رواية أبي داود (لا يدخل الجنة قتات) " وهو النمام.

• وعند أحمد وأبي داود عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة صاحب مكس» وهو الذي يأخذ الضرائب على الأرزاق.

• وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر».

• وأخرج الترمذي عن أبي بكر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل» والخب: المخادع المحتال.

• وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه النسائي عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه والمدمن على الخمر والمنان بما أعطى» والديوث: الذي لا يغار على أهله كالخنزير.

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحصى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها».

أبدأً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه
في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ﴿

• وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله
ﷺ ، قال: ﴿لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه﴾
والبوائق: الشرور والمصائب والظلم ، وأخرج أيضاً
عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ﴿والله لا يؤمن ،
والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل ومن يا رسول الله؟
قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه﴾.

الاستقبال الكبير:

لأهل الجنة استقبال حافل من الملائكة خزنة الجنة
الموكلون بها؛ وعلى رأسهم رضوان خازن الجنان،
ودخول المؤمنين إلى الجنة ليس صمتاً، ولكن
الملائكة تصف عند أبوابها الثمانية لاستقبالهم
كما يفعل في الدنيا بكبار ضيوف الدولة، إنه لأمر
له أهمية في نفوس المؤمنين حيث الشعور بالفوز
ورضا الله عنهم، وأنهم معززون مكرمون ، فهؤلاء

الملائكة الذين سجدوا من قبل لأبيهم آدم إنهم اليوم
 يقفون صفاً لاستقبالهم بأطيب عبارة وأجمل بشارة
 وأحلى ابتسامة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
 زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ١٧٣]

وقال المفسرون في واو (وَفُتِحَتْ) أنها للتمهل
 استعداداً للاستقبال الكبير الذي سيقام لورادها،
 وقد بينت آيات آخر شيئاً من هذا الاستقبال ﴿ إِنَّ
 الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ
 ۖ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
 خَالِدُونَ ﴾ [١٠٢] لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ
 الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣] فهم مبعدون عن النار وعن

سماع صوتها المخيف، كما أن الله تعالى وقاهم من
 الخوف ومن طول المقام يوم الفزع الأكبر وأهواله،
 وهو يوم القيامة، إضافة إلى هذا الإنعام فإن
 الملائكة تتلقاهم بالسلام والترحاب هاشة باشة
 لهم، وفي سورة الرعد يفوز المؤمنون بالجنة جزاء ما
 قدموا من العمل الصالح في الدنيا وقد أنس بعضهم
 إلى بعض بالأهل والذرية الصالحة مع ترحيب
 الملائكة بهم والمباركة لهم بالفوز بالجنة ﴿جَنَّتُ
 عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
 يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]